

26

روايات مصر به السجيت

الظاهرة

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافاري) مصطلح غربي تم تحريفه عن كلمة (سافرية) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافاري) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش في أدغال (إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافاري) التي سنقابلها هنا كانت تصطاد المرض في القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لا تنتهي .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين ..

بطلنا الذي سنقبله يوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصري ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذقه بعيداً وسط أدغال (الكامبيرون) ، وفي بيئة غريبة وأمراض أغرب وأخطر لا تنتهي في كل بقعة ..

وفي هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) .. نعيش معه ذلك العالم العجيب الذي لم تتجح الحضارة في تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات الفتلة .. والسحرة المجهين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرترقة الذين لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كي يظل حياً .. وكى يستطيع في الوقت ذاته أن يظل طبيياً ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافاري) في (الكامبيرون) ..

تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونسقى للبراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافاري) ..

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

« الآن بدأ الزمن يزحف على .. إبنى مصاب بالسكري
وارتفاع ضغط الدم .. وحالة قلبي ليست على ما يرام ..
لاحظ أننى لم أتلق أية أدوية محترمة طيلة هذه الأعوام ..

« عرفت أننى أموت .. لكن فكرة الموت لم تثر رعبى ..
ما أثار رعبى هو أن اللفظ أنفاسى هنا فتتوقف تجاربى
العظيمة وكل ما عشت من أجله .. من المؤسى أننا نموت
بعد ما اكتسبنا ثروة الخبرة ..

« وهكذا بدأ مشروعى الأكبر .. بدأت بتحطيم كل البلورات
كى يتحرر ما فيها من طاقة .. كنت بحاجة إلى قوة عظمى
متحدة .. ويبدو أن هذه الطاقة كانت تعرف كيف تتحرر من
خلال المدخنة فوق القمة .. تخرج منها وتعود لها .. لقد
شهدت لجبل أليمان مروعة .. الناس يرون أشباحاً ، وثمة أشياء
مخيفة تهاجم البيوت .. وأفراد القبائل يرون الموتى بين
أكواخهم .. أعتقد أن هذه كانت جميعاً هلاوس بصرية ..

« بعد هذا كتبت هذه الأوراق .. وحين أفرغ منها سادخل
المفاعل وأرقد مع كل هذه الطاقة التى استخرجتها عبر
عشر سنوات .. سأحاول - فى لحظات احتضارى الأخيرة -
أن أبحث عن شاب قوى يتلقى كل ما لدى من علم .. شاب
يستكمل تجاربى من النقطة التى انتهيت عندها ..

ملحوظة مهمة : أكثر المصطلحات والأسماء الغريبة الواردة
هنا قمت بكتابتها بالإنجليزية ، والسبب ليس التخللق ولكن
لأن بعض الأصدقاء طالبونى بهذا مراراً ، ليسهل عليهم
معرفة الهجاء الصحيح ، فالبحت عن المزيد من التفاصيل
فى الإنترنت إذا أرادوا .. هذا مطلب عادل مهم .. وسوف
أحاول الالتزام به فى كل ما أكتبه فيما بعد إن شاء الله ..

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

« لنا حاجة إلى طبيب .. طبيب شاب قوى .. يجب أن يأتي إلى هنا ويفتح المفاعل ويتلقى طاقتي و طاقة مواضيع تجاربي .. اعتقد أن هذا سيجعله لنا آخر .. لكن كيف أحضر الشاب إلى هنا ؟ كيف ألقاه بتسليق (كليمنجارو) ؟ كان هذا مستحيلًا حتى فكرت في (سافاري) .. في (سينوريه) الذي كان سبب توقف تجاربي .. ترى هل مازال هناك ؟ هل مازال حيًا ؟

« أعرف أنني أستطيع .. أعرف أنني سأجعله يرسل لي شابًا بحجة واهية .. سأجعله يقتنع ويقتنع كل أحيائه .. فقط أريد كل هذه الطاقة .. لو كانت تسبب هلاوس سمعية وبصرية للأهالي فإنها قادرة على الإحياء ..

« والآن يا عزيزي الطبيب الشاب الذي لا أعرف اسمه .. لقد جئت .. لقد تلقيت الطاقة .. إنها في كل جزء من جسدك الآن .. مستجدي بالتأكد جثة هامة ، لكن طاقتي موجودة وهي داخلك الآن .. مع طاقة عشرات الأقارعة الذين ماتوا وهم يتعذبون ..

« سامحني على ما قمت به .. وأتمنى لك حظًا سعيدًا في تجاربك القادمة ..

ياخللاص : إرنست كرومارسكي

صفحات من مذكرات د. (علاء عبد العظيم) :

السبت ١٨ مايو :

العودة إلى الوطن ! ثلاث كلمات لكنها تعني أشياء وأشياء .. لا أعرف كيف يعتبرها البعض تجربة بسيطة .. إنني لأجد فيها ذات غريبة وإشارة العودة من المريخ إلى الأرض .. منذ نفاقتي .. ساعات .. أيام .. لا يهم .. منذ فترة ما ، كنت في عالم آخر .. مشكلات أخرى .. وجوه أخرى .. لغات أخرى ..

كان هناك جزء من عقلي يسيطر على كل شيء .. هذا الجزء يتكلم ويفكر بالفرنسية ، وله مشكلات وخبرات طبيب من وحدة (سافاري) .. فجأة انتهت سيطرة هذا الجزء وتولى زمام الأمور جزء آخر يتكلم العربية .. يحب كرة القدم ، ويعشق الكشري ، وله ذكريات بنت الجيران و (النوم) والكرة للشراب .. من جديد صرت في الجو ، وعادت الحياة إلى كل ركن ، بينما كنت أحسب أنني لن أتأقلم إلا بعد شهور ..

أنا أعرف أن تحول د. (جيكل) إلى مستر (هايد) كان أليماً .. لم أرقط تحولاً يتم بهذه البساطة والمرعة .. والآن يخيّل لي كأن (سافاري) كلها كانت حلمًا ما .. حلمًا مثيرًا فيه أوبنة وقبائل وجبال يغطيها الثلج ..

الرابط الوحيد بين العالمين والذي يبرهن لي على أنني كنت بالفعل (علاء عبد العظيم) في العالمين هو من تمشي بجوارى .. زوجتى الرقيقة التي تضع قدمها على أرض مصر للمرة الأولى .. متوجسًا هامعًا قلت لمصر وأنا أخرج من باب المطار :

- « ما رأيك فيها ؟ هذه هي ا »

تأملتها مصر في اهتمام .. ثم غمغت :

- « هذه إذن من كنت تفكر فيها وأنت نائم ، وتحلم بها وأنت مستيقظ ؟ »

شعرت برعب وقلت وأنا أبتلع ريقى :

- « ألا تستحق ؟ »

قلت في حكمة :

- « عهدي بك أنك لا تحب بعقلانية بل تنزلق .. (تنزلق) كما يقول التعبير العامى الموفق .. لكن على كل حال .. لا بأس بها .. مهذبة رقيقة هي .. وأعتقد أنني سأحبها .. »

- « صدقيني .. إن من لا يحب (برنات) لم يولد بعد .. إنها تذكرنى بـ (ميكى ماوس) أو (شارلى شابلن) .. شيء عالمى يتفوق على مقاييس الاختلاف البشرى .. »

ابتسمت في حنكة وحكمة المجربات اللاتي لا يبهرهن شيء ، وقلت :

- « ليس إلى هذا الحد .. أنت لهب مشتعل لا يعرف الاعتدال ، لكنى أعتقد أنها طيبة وتناسبك .. »

عندئذ عرفت أن مصر و (برنات) ستكونان صديقتين .. ربما أكثر ..

وقالت لي (برنات) وهى ترى شرودى وأنا أدفع الحقالب :

- « فيم الصمت ؟ »

طبعًا لم أستطع إخبارها بالمحادثة التى تمت بينى وحماتها الكبرى (مصر) ، لهذا قلت وأنا أدفع الحقالب :

- « أتساءل أين ذهب (أشرف) ذلك الأحمق .. »

كان ذلك الأحمق بانتظارى بسيارته (الفيات - ١٢٤) المرعبة .. فى مصر تتحول السيارة إلى كائن خالد لا يفنى .. مهما حدث لها ومهما دارت السنون هناك دائمًا الأسطى

(عباس) أو (رمضان) الذى يستطيع إعادتها للحياة ..
وأنا على كل حال أهم حبا بهذه السيارة التى استولت
عليها أسرتى بوضع اليد .. كل مهمات الأسرة وكل مشوار
شاق لابد من توريط (أشرف) فيه .. لا أنسى العودة من
الكلية فيها ، خاصة أيام المطر ، والاندفاع فى البرك كى
يغرق الفتيات الواقفات كقطط حذرة إلى جانب الطريق ،
فيتصاعد سبابهن وهن ينظفن تنوراتهن بالمناديل الورقية :
يا حيوان .. يا متخلف ! أصرحه برأى فى أنهن على
حق .. وإنه حيوان متخلف فعلاً فيضحك .. والحقيقة أنه
طفل كبير مزعج وطيب القلب إلى حد لا يوصف ..

أما عن مظهره فهو يزداد صلغاً وبدانة فى كل مرة ..
ويبدو أن خلاياه حسبت نفسها خلايا كائن آخر أصلع بدين
هو فرس النهر ..

تعانقتا على حين وقفت (برنادت) فى وقار على بعد
خطوات .. إن (أشرف) أعز صديق لى ، ويصعب وصف رحلة
حياتنا معاً .. من بعيد يأتى أخى الذى كان يراقب الباب
الآخر .. إنه يشبهنى تماماً فى الشكل والحجم - ولهذا كان
يسرق قمصتى - لكنه أكبر منا حليق لوجه لا يضع العوينات ..

حتى هذه اللحظة ما زال الجليد موجوداً ، لكنى أعرف أنه
سينوب حالاً .. (برنادت) رفيقة طيبة ، وأهلى طيبون بسطاء ..
إن اختلاط الكحول مع الماء ليس صعباً على الإطلاق ..

وانطلق السيارة فى رحلة العودة .. أنا فى المقعد الخلفى
مع (برنادت) أشرح لها كل شيء بالفرنسية ، بينما يثرثر
(أشرف) مع أخى فى المقعد الأمامى ومن حين لآخر
يهتف وهو ينظر لى فى المرأة :

- « لئبى عربى يا أخ (علاء) يا خريج (الميزانين) .. »

لسبب ما يصير على أن (ميزانين) هو اسم مدرسة
فرنسية .. فأقول له :

- « عليه الصلاة والسلام .. ثق من أننى لم أحك فضائحك
بعد .. هذه لا تحكى إلا بالعربية .. »

ليل القاهرة .. الأضواء .. مسحة الحزن التى لا أفهمها ..
متعبة هى القاهرة وحزينة ، لكنها برغم تعبها لم تنم ..
ظلت ساهرة تنتظر طائرتى لتبتسم لى مرحبة ..

حسن .. سأحاول لختصار اللقاء .. هناك الكثير من الغشاق
والأحضان والبكاء ..

لمى لا تتحرك تقريباً ولم تعد ترى .. لكنها على الأقل
بكامل وعيها وقد سرنى هذا كثيراً ، وقد أحببت (برنادت)
كما توقعت .. الصعوبات اللغوية جمّة ولا بد من مترجم ..
لكن التفاهم واضح ..

فقط همست في أذنها بالسر الذي لم تعرفه بعد ، فراح
تبكي ، وأعلنتها صاحبة مدوية .. (علاء) الطفل الذي كان
يبلل كوافيله سيكون أباً بعد ثمانية أشهر ..

للجانب الأثوى في استقبال (برنات) قامت به زوجة
أخي ، وقد أعدت لنا عشاء لا بأس به .. بينما راح أخي
يحاول التفاهم مع (برنات) بالإنجليزية .. وهي تتكلمها ،
لكن إنجليزية أخي تحتاج إلى ما هو أكثر من فهم اللغة ..

الخلاصة أن اللقاء كان ناجحاً بحق .. وأدركت أن الأيام
التالية ستشهد المزيد من الاندماج .. ستعرف (برنات)
الكثير عنا .. فقط أتمنى أن يكون لقائنا سهلاً .. لقاء
الأب الكندي الثري السمج .. رجل الأعمال الذي يشعر بأثني
سلبته ابنته .. لكن هذا اللقاء لن يأتي إلا بعد عام من
الآن .. ترى من يعيش إلى ذلك اليوم ؟

وفي غرفتي التي أعدتها الأسرة وأزالت كل ما يمت
بصلة لي ، والتي قاموا ببياضها من جديد منذ أسبوعين ،
قالت (برنات) وهي تقف في الشرفة ترمق الشارع
المزدحم الصاخب :

- « أعتقد أنني سأحب بلدك .. أسرتك لطيفة فعلاً .. »

ولم أخبرها أنني لم أكن قلقاً بصدد رأيها في أسرتي ..
ما أقلقني هو رأي أسرتي فيها ..

لكن النتيجة إيجابية ، ولو مت الآن سأموت سعيداً ..

راح (برنات) تفرغ الحقيبة .. توقفت أمام ملف كبير
مزدهم بالأوراق وسألتني :

- « ما هذا يا (علاء) ؟ لم أراه في لقاء إعداد الحقيبة .. »

ومدت يدها تفتحه لكنني هرعت فأخذته منها ، وفتحت
خزانة الثياب وتسلفت على الإفريز الخشبي الأسفل لأدسه
في أعلى موضع من الخزانة .. المكان الذي يفوح برائحة
(النافثالين) حيث كنا نضع فيه بطاطين الشتاء حين يأتي
الصيف ..

قلت وأنا أؤدي هذا العمل لاهئاً :

- « هذه أوراق تخصص دراستي .. إنها مختلطة جداً
ولو لمسها أحد لعجزت عن فهم حرف .. »

لم تعلق وواصلت البحث .. بينما نظرت أنا إلى أعلى ..
لهذا الموضع من الخزانة مفتاح .. أذكر هذا وإن كنت
لا أعرف أين هو .. يجب أن أجد هذا المفتاح وأغلقه جيداً ..

لا أتوقع أن تجرب الفضول هذه الليلة .. لكن ماذا عن غد
وبعد غد ؟

ماذا عن اللحظة التي تدرك فيها أنني أتصرف بشكل غير
مألوف ؟؟؟

الاثنين ٢٠ مايو :

لم أتمكن من الراحة إلا هذه اللحظة ، وقد دخلت
(برنات) فرأيتني منهمكاً في الكتابة الآن .. تسألني :

« ماذا تفعله ؟ »

أقول لها :

« أكتب خواطر هذه الفترة .. إنها مدهشة ولا أريد أن
أنسى شيئاً .. »

بالطبع الخواطر بالعربية .. لا تفهم حرفاً .. هذه هي
المعزية الأهم في الزوجة غير المصرية .. تمط رأسها
محاولة فهم شيء .. بالنسبة لها من يكتب العربية هو
إنسان فذ .. ثم تقرر أن تتركني لخواطري هذه ..

ماذا كنت أقول ؟ كنت أقول إن اليوم كان مرهقاً بحق ..

لا بد من أن تستقبل عشرات الوجوه الباسمة التي لا تذكر أنك
رأيتها من قبل .. هذا هو المهندس (عصام) حبيبك .. متى
أحبته ؟ لا أذكر .. لا أذكر أننا جلسنا تحت شجرة نحفر

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

اسمينا على لحائها .. وهذه مدام (ثريا) .. صديقة (مى) .. هل عرفت ؟ طاطط (إصاف) فى المستشفى .. يبدو أن الورم عاد .. يا للكارثة ! من هى طنط (إصاف) ؟ بالطبع هى خالة (مروان) .. لكن لا بد من أن نزررها اليوم بالذات .. حاملين الشيكولاته المقدسة إياها التى لا يمرض الإنسان أو يموت من دونها ..

وهناك من يصافحك فى حرارة والعرق يغمر جبهته .. يضغط على أسنانه ويزداد قسوة وأنت لا تفهم من هو .. ثم يردد فى هستيريا :

- « لا بد من أن تشرفنا بزيارة .. أقسم بالله إن الوالدة ستسعد .. نعم .. أؤكد لك أن الوالدة ستسعد .. أنا أعرف يقيناً أن الوالدة ستسعد ! هى قالت لى إنها تعجبك أنت و (عبد المؤمن) ابنها .. »

ويهبط فى الدرج وهو يصيح حتى ليوقظ الجيران من نومهم :

- « أؤكد لك أن الوالدة ستسعد ! »

فلو أضفنا لهذا أنه مراقب مالى وإدارى ، لفهمنا كيف أننى وزوجتى لن نسعد كثيراً بهذه الزيارة ، مهما كانت سعادة الوالدة ..

هناك صديق قديم عرف بقدومى ، وسررت حقاً ببقائه هو (مختار أبو سيف) .. إنه زميل دراسة مختص فى الطب النفسى حالياً وهو بارع بحق كما يقولون .. يبدو أنه للطبيب الوحيد فى كليته الذى تنشر الدوريات العالمية بحوثه على الفور ، وقد بدا لى غريباً أن هذا الصديق الذى عشت معه أتعس وأظرف أعوام المراهقة يمكن أن يكون مرموقاً .. سألته عن عيادته الخاصة فعرفت أنها فاشلة تماماً .. هذا يؤكد ما قلته من أن نجاح العيادة لا يعتمد على مقدرتك العلمية ، ولكن على مقدرتك الاجتماعية .. ولهذا يذهب (مختار) إلى عيادته ليقضى يومه فى قراءة الدوريات على الإنترنت أو محاولة النجاة بحياة الأخت (لارا كروفت Lara Kroft) فى لعبة (المغيرة على المقابر) .. أو محاولة تحويل ملفات AVI إلى MPEG .. يقولون إن الطبيب الناجح فى عيادته منك جسدياً ، والفاشل فى عيادته منك نفسياً .. لكن (مختار) بلغ درجة الرضا بلغتنا .. أو (النرفانسا) بلغة البونيين واليوجيين ..

تعرف (مختار) (برنادت) وأعتقد أنها ارتاحت له على الفور ، خاصة وأنه يجيد الفرنسية .. لكنه - كأي شيء جيد - لا يبقى طويلاً .. إذ سرعان ما رحل تاركاً إيتا بين برائن المراقبين الماليين وطاطط (فيفى) وطاطط (عزيزة) ..

هكذا تنتهي من كل هذه الواجبات شاعراً بأنك حطام ..
دعك من أطفال الأسرة الذين اعتبروا (برنانت) فقرة من
 فقرات السيرك .. والفتيات خريجات اللغة الفرنسية اللاتي
 وجدن فيها ضالتهن .. كل هذا والرقيقة البسيطة تبتسم في
 رقة طيلة الوقت .. صحيح أنها كانت تعاني عذاباً مقيماً
 خاصة مع الحمل الذي يجعل الدوار عادة .. لكنها
 تماسكت .. فقط دخلت الحمام مرتين لتفرغ معدتها .. فكما
 قلت يعتبر جسمها الجنين غزواً أجنبياً يريد التخلص منه ،
 إلى أن تعود بعد الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل .. أضف
 لهذا (إسهال المسافرين) الذي يصيب كل غربي يزور قطراً
 شرقياً .. وهو لا يقتلهم جميعاً للأسف .. هناك ناجون من
 حين لآخر ، لكنه يسبب متاعب لا حصر لها .. والكارثة هنا
 أنني لا أجروء على إعطائها أي دواء في هذه الأشهر الخطرة
 من الحمل ..

فرغت من هذا كله فجلست أرتب أفكاري ..

ليست لدى فكرة واضحة عما يجب عمله .. لكنني أدرك
 يقيناً أنني أحمل واجباً .. إرثاً .. مهمة كلفت بها وأنا في
 ذلك الكهف البارد في (كيبو) .. وليس لي أن أتخلي عن
 هذه المسؤولية ..

جلست اقرأ الأوراق المكتوبة بالبولندية .. لسبب ما صرت
 أجيد البولندية تماماً .. لا أعرف السبب ولا يخيفني هذا ..
 يبدو أن اللمسة التي منحنيها (كومارسكي) هي أنه جعلني
 أشعر بأن هذا طبيعي جداً ..

إن الخطة بسيطة .. الإعداد سهل ..

الكارثة الحقيقية هي أن تبدأ العمل فعلاً ..

هذه نقاط يمكن دراستها على مهل ..

ما يضيقني في الموضوع هو أن معي زوجتي الأجنبية ..
 وهذه الزوجة لا بد من أن ترى مصر ، وأن تقضي نوعاً
 من شهر العسل هنا .. لا وقت لدى لهذا .. تكفي رحلة إلى
 الأقصر وأسوان كي تهدم جدولي الزمني ، فماذا عن
 (سيناء) و (الإسكندرية) والبحر الأحمر ؟

سأحاول إنهاء هذه الأمور سريعاً لأتفرغ للعمل ..

الثلاثاء ٢٨ مايو :

بالطبع وقعت (برنات) فى غرلم مصر .. لا أرى فى هذا معجزة ما .. إن من لا ثقته مصر لا يمكن أن يثق أى شىء فى العالم .. تكلم عن الفراعنة ولسوف تجد ما يسرك .. تحب الآثار الإسلامية ؟ هناك الكثير .. آثار قبطية من عصور الاستشهاد ؟ مرحباً بك .. وماذا عن الرومان واليونان ؟ تحب الريف والخضرة ؟ هنا مرادك .. تبغى الغطس والشعاب المرجانية ؟ أم تحب الصحراء ؟ أم أنك من الطراز الكئيب الذى يمقت الحياة والبشر ؟ لا تقلق .. إن كثيرين قبلك قفزوا فى النيل وأحبوا ذلك ..

نعم .. تحدث عن كل شىء من فضلك لكن لا تتحدث عن افتتان (برنات) بمصر كأنها ابتكرت شيئاً جديداً ..

حين عدنا إلى الدار ، تركتها للمرة الأولى منذ عشرة أيام ، وقلت إننى سأقوم بإنهاء بعض الأعمال . تركتها مع لى فى الصالة فى ذلك المشهد الذى طالما حلمت به فى (سافارى) : امرأتان تجلسان أمام التلفزيون ، بينما لى

تعد القهوة على (السبرتاية) إياها .. صحيح أن حركاتها صارت ثقيلة جداً لكنها تعرف كيف تعنى بأمرها ، وبرغم أنها كفيفة تقريباً ، فهى تذكر مكان كل شىء فى منزلها الذى نظفته ١٥٠٠٠ مرة من قبل .. وبدا لى أنهما قادرتان على التفاهم .. إن (برنات) تريد أن تسعدنى ، ولسوف تعنى بوالدتى جيداً .. والعكس صحيح . ثم إن تحرش الحموات لن يكون سهلاً بالفرنسية ..

قال لى (أشرف) وهو يحاول جاهداً ضخ الوقود إلى المحرك (لأن البيك معدود كما قال) :
— « العنوان فى (حلوان) .. هل أنت واثق من قرارك ؟ »

نظرت من النافذة وقلت فى غموض :

— « لنا واثق .. »

— « هذه المشروعات تفشل دائماً صدقتى .. لا اعتقد أن أى مشروع ينجح ما لم يتعلق بالطعام .. »
— « سأجرب .. »

وكان (حجازي) السمسار إسكافيًا له ورشة صغيرة متسخة معبودة الجدران .. وقد جلس غارمًا كعب حذاء في صدره حين رأنا ، فهتف في حماسة تدعونا للدخول ، وصفع اللصبي الأبله النائم جواره على قذاله بأمره بأن يعد شيئًا للبكوات ، لكننا اعتذرنا بأننا متعجلون .. هكذا ألقى بهما في يده ومسح يديه في منشفة زادتتهما اتساخًا ، ولحق بنا لوجلس في المقعد الخلفي للسيارة وانطلقنا ..

وراح يصدر التعليمات لـ (أشرف) من مكانه :

- « لول منحنى على اليمين (بلاقفية) .. يسار .. يمين .. يمين .. خذ الحذر .. هنا بالوعة مفتوحة .. نعم .. (الله ينور عليك) .. هذا الشارع .. هل ترى هذه النهاية المهدمة ؟ أمامها شجرة عجوز (بلاقفية) .. نعم .. هنا .. قلب يابك .. »

وترجلنا من السيارة .. ووقفنا في هذا المكان القفر .. بالضبط كما أردت وتمنيت .. كانت هناك ثلاث قطع من الأرض لم يتم بناؤها بعد ولن يتم أبدًا ، لأن تنازع الورثة سيبقى إلى يوم الدين .. هناك كومة من القمامة كأنها جبل صغير .. هناك بركة مياه لا أعرف مصدرها لكنها هناك تشرب منها بعض القطط ..

فتح السمسار باب النهاية ومفتاح كان معه ، فأعاد (أشرف) السؤال :

- « هل أنت متأكد من أن أحدًا لن يقيم هنا ؟ »

قال في ضيق كمن أهينت كرامته :

- « لا أحد يابك .. النهاية ملكنا (بلاقفية) .. وليس بيننا من ينوي السكنى فيها .. »

ثم تقدمنا في درج متآكل عتيق .. وصعدنا خلفه حتى لم يعد هناك من مزيد .. ثمة شقة مغلقة في الطابق العلوي تطل على السطح الخالي .. برغم كل شيء أشعر أن هذا المكان بهيج .. إنه موحش إلى درجة تجعله ساحرًا ..

فتح الباب فطالعتني الشقة الكئيبة الخالية .. لا بد أنها رأت ألمانًا أفضل فيما مضى .. لكنها واسعة .. وحين تفتح نوالها يطالعك فراغ مريح في الجهات الأربع ..

- « ستجد هنا أن (الطراوة ترد الروح) .. »

هزرت رأسي بحضن فني موافق ، فنزلتني المفتاح والعقد .. طبعًا يفترض النصاب أن الشقة مفروشة ؛ لأن فيها مقعدًا محطمانًا ومراة قديمة لم يتبق شيء من سطحها الفضي ..

- « قلت تتوى استخدامه فى ماذا بالضبط ؟ »

فى صبر قلت ما قلته ألف مرة على ما أظن :

- « مشروع ما.. يشبه ورشة لتجميع أجهزة الكمبيوتر

وبيعها .. »

- « وتريد هذا المكان الفقير ؟ كنت أحسب تجارة الكمبيوتر

تحتاج (بلا قافية) إلى مكان نظيف فى وسط البلد .. »

قلت فى خبث بلهجة من لا يريد التفسير أكثر :

- « ليس لدى تصريح .. هذه الأمور تحتاج إلى طن من

الأوراق الإدارية .. ثم المصنفات والضرائب .. إن التعامل

معهم مشكلة .. أنت تفهم هذه الأمور .. »

قال مضيقاً عينيه فى نكاء بلهجة من عرك الحياة وعركته :

- « نعم . نعم . أخو زوجتى الثانية (توحة) يتاجر فى

المخدرات . وهو يرى الأمرين من الحكومة .. لكن أكل

العرب ... »

فى دُعرٍ هتاف (أشرف) :

- « لا يتكلم عن المخدرات يا أحمق .. يتكلم عن الكمبيوتر ..

هو بحاجة إلى مكان منغل لكن الأمر لم يصل لهذا الحد .. »

فى طريق العودة ونحن نحمل السمسمار إلى ورشته ،
سألنى (أشرف) وهو شارد الذهن :

- « منذ متى تهتم بالكمبيوتر ؟ معلوماتى أنك أجهل من

دابة فى هذا الصدد .. »

- « لا تعرف كم من التغيرات طرأت على هناك .. لكن

لا بد للمرء من ترتيب حياته فى مصر لو عاد يوماً ما ..

من الصير أن يفكر المرء فى نجاح عيادة يبدأ العمل فيها

فى هذه السن .. لا بد من مشروع بعيد عن الطب ، ثم إننى

أرجو ألا تعرف زوجتى شيئاً عن هذا الموضوع .. »

ألقى بلفافة تبغ من النافذة وقال :

- « أما هذا فلا شك فيه .. إلى أن أعرف كيف أقول هذا

كله بالفرنسية سيكون مشروعك قد فشل وانتهى الأمر .. »

ولذت بالصمت .. كنت أفضل أن يتم الأمر دون شهود ،

لكن كيف لمثلئى - وأنا نصف غريب - أن أجد بيتاً مقفراً من

دون سمسمار ، وكيف أجد سمسماراً من دون الاستعانة

بصديق ؟ المهم أن التزم السرية وألا يعرف أحد ما يدور فى

هذا البيت حقاً ..

ضغط (أشرف) على دواسة البنزين فى توحش ، كى
يسلك (البيك) كما قال ، والذي لا أعرف ما هو ، وسألنى
ونحن عائدان إلى (شبرا) :

« سوف تحتاج إلى سيارة .. إن للمشوار شئ
حقاً .. »

كانت القيادة مشكلة بالنسبة لى ، لكنى قررت أن
أجدها .. ربما أستطيع الحصول على رخصة قيادة بسرعة ..
رباه ! إن مكى يوشك على الانفجار من كثرة ما يجب
عمله !

أما الخطوة الأهم فهى المرور على بعض المتاجر التى
تتعامل مع الإلكترونيات .. هناك دوائر لابد من البحث
عنها .. أريد ثلاجة أفقية صغيرة و .. يجب أن أكتب قائمة
بهذه الأشياء ..

الأربعاء ٢٩ مايو :

قضيت ست ساعات كاملة أقوم بتركيب ما اشتريت .. عملية
معقدة ، لكن الدوائر والتوصيلات كانت فى ذهنى بوضوح
تلم .. كأنما كنت أمارس هذا العمل منذ نعومة أظفارى ..

كنت قد ابتعت ثلاجة أفقية ، وقمت بنقلها مع ما ابتعت
من إلكترونيات فى سيارة واحدة .. وبمجرد أن صرت
وحدى فتحت باب الثلاجة لتهب منه أنعام أبدية لا أدرى من
أين تأتى .. ألمسى المصطح الخالى وذلك الشعور البهيج
بالراحة .. الشعور بأن الثلاجة كلها ملكى ..

برغم هذا أنا قلقى بصدد حرارة الجو .. هذا المكان معتدل
للجو ، لكن ليس (مايو) هو أفضل شهر يمكن فيه إجراء
تجارب كهذه .. ورحت أمل أن يكون ارتفاع الشقة مناسباً ..

الملاحظة الثانية المهمة هى أن هذه الطاقة تكون فى أعلى نشاط لها
حين توضع فى حرارة منخفضة أو فى موضع مرتفع ، لا أعرف تفسير
ذلك لكن هذه ملاحظاتى على كل حال .. كانت الطاقة تتوهج إذا
ما جمعتها من مرضى الطابق الثانى أكثر منها مع مرضى الطابق
الأرضى .. »

فَرَعْتَ من كل شيء وكان الظلام قد بدأ يقترب .. ألقيت نظرة أخيرة على المكان .. منات الأسلاك والدوائر ، وألف وصلة تم تثبيتها بالشريط الكهربى العازل .. حين أنظر إلى هذا كله أكتشف الحقيقة المروعة : ليس لى أدنى علم بهذا الذى قمت به .. ولولم يكن ميراث (كومارسكى) فى عروقى لما تمكنت من عمل وصلة واحدة .. أنت تفهم الأمر .. لو نظرت إلى الرسم التفصيلى الدقيق لجهاز إلكترونى ، ورأيت تلك المعاهات التى لا تعرف أبداً من أين تبدأ ولا أين تنتهى .. ولو تذكرت أن التعليمات الإرشادية كتبت بالبولندية ، لأفركت كم الذهول الذى شعرت به وأنا أنظر إلى ما قمت به .. أنا عبقرى .. لا .. (كومارسكى) عبقرى ..

لقد لو شكت إعدادات الحفل أن تكتمل فلم يبق إلا المدعون ..

وهنا مزية أخرى للزوجة غير الفضولية . إنها لا تكتر من الأسئلة متى شعرت بأنك لا تنتهى الثروة .. ماسر التأخير ؟ إنها الإجراءات ، وهذه مصر يا صغيرة .. أنت فى بلد للكتاب للجالس للقرفصاء ، حيث لا بد للمرء من ألف ورقة يثبت بها أنه على قيد الحياة ، وألف ورقة أخرى يثبت بها أنه مات ..

أعدت لى طعام الغداء الذى صار عشاء الآن ، وكانت قد فهمت كل مجاهل المنزل .. تعرف أين يخبئون السكر والشاى والبن .. وتعرف أن علبة الثقاب توضع فوق الثلاجة ، والملاعق فى درج (البوفيه) العتيق فى الصالة ..

قالت لى وأنا أملأ قمى بالمكرونة :

- « حالة والدتك الصحية غير مطمئنة .. قياسات السكر فى الدم كلها تفوق المعدل .. لقد زدت لها جرعة الإنسولين قليلاً .. »

- « م م م .. मामين .. مامبك ! »

- « ه ه ؟ »

ازدردت ما فى قمى وعدت أكرر الجملة بوضوح أكثر :

- « افعلنى ما تريدان فأنا أثق بك .. »

- « وحالة عينيها .. فى الحقيقة هى تستأهل عناية أكثر مادمننا هنا .. أقترح أن تتفرغ لها بضعة أيام .. »

ماذا ؟ وقتى لا يسمح يا فتاتى .. سوف نعود خلال ثلاثة أسابيع إلى (الكامبيرون) .. إن حالة والدتى مستقرة .. سينة لكنها لن تتحسن ولن تتدهور .. لن تجرى الجراحة

أبداً .. هي لا تريد .. أكره من يقول لي ما يجب أن أفعل ..
من أنت كى تزعمى فهم تفاصيل عشنا فيها نحن عدة
أعوام ؟

لكنى لم أرد أن أفسد الأمور فقلت وأنا لمضغ المكرونة
دون أن أتوكلها :

- « ليكن .. أى شيء .. فقط أعطينى مهلة أفرغ فيها
من هذه الأوراق .. »

نظرت لي فى شرود ولم تبد مقتنعة جداً ..

ترى متى ستقول لي : أنت تغيرت يا (علاء) ؟ ستقولها
حتمًا .. فقط أنت تقولها متأخرة ..



الخميس ٣٠ مايو :

كان يقول :

« ثم بدأت التحريث على المختصرين من البشر فى وحدة (سافارى ١) ..
ولاحظت ملاحظة عجيبة .. إن الاحتضار فى سلام ومن دون ألم
لا يعطينى من هذه الطاقة القدر الكافى .. يمكن أن أقرب المشهد
لحك باعتماد اليمونة .. كما صغلت أكثر كلما أعفنتك عصيراً أكثر .. »

لقد صرت أحفظ كل حرف فى هذا الخطاب ، والكابوس
الذى كان يطاردنى هو أن يقع بين يدي (برنات) .. أذكر
يوم عدت لها من (كليمنجارو) محطماً متفسخ الأعضاء
بعد ما ودعت (تارو) و (ماسومو) .. سألتنى عما حل بهى
هناك فقلت لها فى غموض : مات الرجل وحده فى الجبل ..
سألتنى عن كل هذه الأوراق التى معى ، فقلت إننى لم أرد
أن أتركها .. بالتأكيد سوف ترغب أسرة الهانس فى أن
تجدها .. سألها لآله بمجرد أن أجدهم ..

نفس الشيء فكنه للمدير ، وكان غامضاً فى قبول ما قلت ..
لكنه يفهم وأنا أفهم .. لقد صارت اللعبة مكشوفة ، ونحن

نتعامل بطريقة (نحن - نعرف - ما - هناك - لكننا - لن -
نتكلم - بصوت - عال) .. وهى طريقة عتيقة ..

ذات مرة كنت أنقب فى درج أخى ووجدت مجموعة من
الخطابات الغرامية الحارة جداً ، كتبتها له فتاة تدعى
(مى) .. وكنت مراقباً سخيلاً لهذا راق لى ما فى الأمر من
دعابة .. أخذت الخطابات وأخفيتُها فى موضع آخر .. الآن
صرنا فى وضع فريد : أخى يعرف أننى سارق الخطابات
لكنه لا يجروى على اتهامى ، لأنه لو اتهمنى لاعتُرف بأن
هناك خطابات .. وأنا ملك لا يعرف شيئاً .. يدنو منى
وينظر فى عيني بشك قاتل ، ثم يسألنى : هل وجدت شيئاً
وأخفيتهُ ؟ فأقول ببراءة : أى شيء ؟ ماذا تعنى ؟ يقول لى :
الشيء الذى أخفيتهُ ! فأقول : لو قلت لى ما هو لفكرت فى
الأمر .. كيف أتذكر إخفاء شيء إن لم أعرف ما هو ؟!

هكذا هو يعرف أننى أعرف أنه يعرف أننى وجدت هذه
الخطابات .. لكن لا يجروى أحداً على الكلام ، ويكتفى بأن
يوجه لى نظرة من طراز (صبراً - أيها - النصاب - سأجد -
لك - عقاباً - فى - شأن - آخر) ..

كنت الآن أقف جوار (المفاعل) المكتمل تماماً .. مجهود
يفوق الوصف بالنسبة لأننى قمت به فى يومين أو أقل ..

صحيح أنه كان أكثر بساطة وأكثر خرقاً مما قام به
(كومارسكى) لكنه عمل فذ طبعاً .. النقطة هنا هى أن أكثر
جهد (كومارسكى) كان منصباً على إعداد سبل الحياة فى
الجبل .. وأنا هنا فى مدينة .. كما أننى قمت بتجميع ما قام
به .. عندما يقوم الكهربائى بتجميع كشاف من (النيون)
فإنه ليس مطالباً باكتشاف الكهرباء من جديد ، وإنما هو
يبدأ من حيث انتهت أعوام من البحث العلمى ..

بدأت تجاربي بقط .. نعم .. قط من القطط التى تقف على
حافة البركة لتشرب .. لحتجت إلى عدة محاولات خرقاء حتى
تمكننت من إلقاء صندوق ورقى عليه .. ونجحت فى لف
الصندوق بملاءة ثم حملته إلى معملى العجيب .. حسن
يارفاقى .. لكم أن تراهنوا على أن العملية كانت شاقة .. فالوغد
يتعامل كأنه نمر أو خنزير برى .. وقد مزق يدي تملأ ، ولحسن
الحظ أننى تلقيت تطعيم التيتانوس منذ وقت قريب .. فى النهاية
تمكننت من تقييده .. بعدها قمت بتثبيت الأسلاك إلى جسمه
متصلة بكرة زجاجية .. هذه لكرة التى تختزن (الظاهرة) ..

لن أذكر تفاصيل موته .. فقط أقول إنه كان موتاً شنيعاً
بطبيعاً .. لا أعتقد أنك تعترض على هذا الحد على البحث العلمى ..
أنا متوحش ؟ لا أظن .. كم من كلاب مزق (بافلوف Pavlov)

بطونها وهي حية ، وكم من أرتاب ماتت وهي تعمل دما
مع (روبرت كوخ Koch) .. لو لم تمت هذه الحيوانات
لما عرفنا شيئا عن الانعكاس الشرطى وفسولوجيا الهضم
ولا عن الدرن الرئوى ..

فى النهاية قمت بهتم طرف الكرة الزجاجية وأوصلتها
بالأسلاك اللازمة ، ثم وضعتها فى المفاعل .. للثلاجة
الأفقية إياها ..

ثم تخلّصت من الجثة ..

يجب هنا أن أرتب أفكارى .. لاقيمة على الإطلاق لتكرار
ما قام به (كومارسكى) ، بل يجب أن أبدأ من حيث انتهى
بالضبط .. هو استخلص (الظاهرة) واستعملها فى توليد
الكهرباء والإضاءة .. هو لم يجرب استخلاص (الظاهرة)
من المصريين .. لم يجربها مع امرأة حامل .. لم يجربها
مع طفل حديث الولادة .. لم يحاول أن يجرب إمكانيات أخرى
لهذه (الظاهرة) ..

أعرف أنى سأجرب حتى للنهاية .. وحين أشعر بقرب
وفاتى سأنقل خبراتى إلى طبيب شاب آخر .. هكذا تتحرك
الوصية عبر الأجيال .. وهكذا .. وربما ...

من يدري ؟ لو كنت كاتب خيال علمى ، لتصورت مستقبلاً
تمشى فيه السيارات وتحلق الطائرات بوساطة (الظاهرة) ..
هذا يستلزم منظراً آخر أغرب .. معاحات شاسعة مخصصة
للتغذية لانتزاع الطاقة من المحتضرين .. لتخيل سهلاً ممتداً
تمارس فيه أنواع التغذية ، والبشر معلقون على أوتاد
ينزفون ، والأسلاك تتدلى منهم نحو البلورات .. ما أجمله
من منظر ! لوحة سريالية رائعة ، أو هو مشهد حلم به
القادة الرومان وهم يصلبون (سبارتاكوس Spartacus)
ورفاقه على طول الطريق من شط (برنديزى) إلى
(روما) .. يا للخسارة .. لم يكن (كومارسكى) موجوداً
وقتها ليحصد كل هذه الطاقة ! طبعاً سيكون هؤلاء المذبذبون
من المماجين أو الشعوب التى لم تعد ذات جدوى ..
بنى تغير .. لكنى لست وثقا إن كان هذا لأسوأ لم أفضل ..
تلك مسألة نسبية ..



الجمعة ٣١ مايو :

بدأت الكرات تزداد .. لدى الآن خمس منها ..

عدت للبيت في ساعة متأخرة لتخبرني أمي أن عدداً من الأصدقاء مرّ على فلم يجدنني .. هؤلاء الذين عرفتهم يوماً منذ عشر سنوات ثم قرروا أن الوقت مناسب لاستعادة الود ..

سألتها في سخرية جانبية :

- « وهل وجدني أحدهم في البيت ؟ »

أمي لا تفهم المزاح وهذا في حد ذاته يعطى إمكانيات هائلة للمزاح .. لهذا هتفت في رعب :

- « وكيف يقابلونك وأنت كنت بالخارج ؟ »

ثم انفجرت في ضحك عصبى قصير وقد فهمت أنني أداعبها ، وبعد قليل جاءت زوجة أخي من المطبخ وقد لوّثت بالسمن يديها حتى المعصمين ، ولا أعرف بالطبع نوع العشاء الذي يلوث المعصمين بالسمن ، وقالت في لوم ضاحك :

- « مشغول جداً .. مشغول بشكل لا يوصف .. لا أعرف إن كنت انتهيت من إدارة أملاك أم لا .. »

وخلفها ظهرت (برنات) وكان من الواضح أنها تحمل أسئلة مماثلة .. قالت لي بالفرنسية :

- « أنا معها طيلة اليوم .. لقد صرنا صديقتين حميمتين .. تعلمت هي من الفرنسية قديراً ، وتعلمت أنا من العربية قديراً .. هكذا يمكننا أن نتفاهم للأبد .. »

طبعاً أنا لا أحب زوجة أخي كثيراً .. أجدها مشاكسة مولعة بالتحدى والصراع .. ولن يستغرق الأمر الكثير من الوقت حتى تبدأ الشجار مع (سلفتها) التي هي (برنات) .. لكن العلاقات حتى هذه اللحظة سطحية .. أجمل ما فيها أنها سطحية كعلاقتك بالكواء على ناصية الشارع .. لا يمكن أن تزداد عمقاً أو تسوء ..

ما يهمني في الموضوع هو أنني صرت مريباً .. الرجل الذي يبقى في الخارج طيلة اليوم بعد عودته من الخارج ، لا بد أن يكون مريباً .. والأسوأ هو أنني ألعب دور الدكتور (فرانكشتاين) الذي يملك مختبراً غريباً يمارس فيه تجارب مشبوهة ما .. لكنني أعرف حقيقة واحدة : أنا مرغم على ما أقوم به .. دعك من أنني لن أجد الفرصة أبداً للقيام بهذا الذي أقوم به في (الكامبيرون) .. لا يوجد مكان خال أنفرد فيه ، وعيون الجميع على ..

وسألني أخى بشكل عابر :

- « هل توجد مشاكل ما ؟ تكاد لا نراك .. »

قلت فى غموض :

- « لدى بعض المشاكل .. بعض الجيوب تركتها ، وأريد
أن أغلقها قبل أن أعود .. »

- « لكن لماذا لا تصحب عروسك معك ؟ »

قلت بلهجة من لا يريد أن يفتح معه الموضوع أكثر من
هذا :

- « (برنات) عاقلة جداً وتعرف متى تتركنى وحدى ..
لا تقلق بهذا الصدد .. »

يجب أن أحترس .. الأمر قد صار خطراً بالفعل ...



السبت ١ يونيو :

اليوم حدث أغرب شيء فى حياتى .. الأمر الذى يشعرنى
بما يحب رجل الشارع أن يقوله : الدنيا صغيرة .. نحن قطع
من الشطرنج نعتقد أنها ذات إرادة كاملة ، لكنها تتنقل هنا
وهناك غير عالمة أنها تنفذ خطة أكبر ..

مثلاً خذ عندك المشوار الطويل المرهق الذى مشيته
عاجزاً عن العبور على سيارة أجرة .. ثم خذ عندك ركوبى
مترو الأنفاق .. خذ عندك الفتاة التى دخلت قبل أن ينغلق
الباب وهى تحمل حقيبة مكتنزة ، ونظارة سوداء على
عينها تعطىها الكثير من النظاهر .. إن إنساناً اختفى ثلث
وجهه يتحول إلى كتلة من الغموض ..

كانت العربية كتلة من العجين البشرى المختلط برائحة
العرق ، والأنفاس التى أطفأت لغافة تبغها قبل النزول إلى
المحطة .. وتذكرت باسمًا تشبيه العبقري (محمد عفيفى) :
ليس المكان علبه سردين .. بل هو قالب عجوة مكبوس .. لأنه
لا يحقق التلاصق فقط بل للتلاحم كذلك ! وإلا فلماذا أجد ذراع هذا
الطلب يخرج من تحت إبطى ؟ ولماذا لا أجد ساقى اليسرى ؟

كانت واقفة فى الركن وقد منحتها هيئة الأثوثة بعض الفراغ حولها .. بضعة ملليمترات لا أكثر ، لكنها على الأقل تجعلها مدركة تمامًا لهالتها الذاتية ..

هنا التقت عيناتا .. أعنى أن عيني التقى بنظارتها .. كنت أعرف من البداية أننى أعرفها تمامًا ..

الآن أتأكد من هذا ، وقد غزت هذه البسمة وجهها .. وفى اللحظة التالية نطقت اسمى بشفتيها من دون صوت ، ونطقت اسمها بشفتى من دون صوت :

- « (علام) ؟ »

- « (نسرين) ؟ »

لماذا لا تموت الذكريات القديمة ؟ المستشفى العتيق المتهالك .. طبيبة التخدير الحسناء التى تخاف كل شيء .. الفتاة التى وجلت نفسك فى أن تحميها .. الزيارة مع الوالدة وأخى .. لبونبون المشحم الذى يلتصق باليد ، والأب المتشكك الذى يملك يقينًا واحدًا : أنت لا مستقبل لك ..

(نسرين) .. للحب القديم .. والمسبب رقم واحد فى سلسلة أسباب أدت بك إلى الفرار .. إلى حيث تجسر النسر .. إلى حيث يصير (شلبى) رفيقك ، وقبائل (الباتو) مرضاك ، واللغة الفرنسية هى اللغة التى تتكلم بها فى نومك ..

كانت مرتبكة ، وحين رفعت يدها اليمنى إلى شعرها لم أر أى قيد ذهبى .. ثم تماسكت باليد اليسرى فى العارضة فلم أر أى قيد كذلك .. لم تتزوج ولم تخطب ..

شفقت ملحمة الأجساد والعرق حتى دنوت منها :

- « أية محطة ؟ »

- « (حلوان) .. »

وهذه صدفة أخرى غريبة ..

حين انفتح الباب ليتقيا المترو حمولته ، كنا نمشى معًا كأننا ركبنا معًا .. لا أعرف لماذا ولا كيف ، لكن شيئًا ما قال لى إنها تبحث عني .. وسررتى هذا ..

أمام المحطة كان هناك حادث طريق ، وكان هناك زحام مروع .. الناس الملتفون ليسعدوا بخبر أنهم مازالوا أحياء .. رأيت الدماء على الأرض وسمعت الصراخ .. غطت وجهها بيدها حتى لا ترى وهمست : يا ساتر يا رب !

لكننى كنت أرمق المشهد فى نهم .. لو كانت الضحية حية وتألّم فمن الخسارة أن تموت سدى .. إن (الظاهرة) تنزف منها دون أن تكون عندي فرصة جمعها ..

بعد خطوات من المحطة كنت قد عرفت أن (نسرين) لم تتزوج قط .. غريب هذا لأننى اعتقد أنها فى الثلاثين

من العمر .. يبدو أنني لم أكن الضحية الأخيرة لأبيها فهو من الطراز الذي يتسلى بطرد الخطاب .. الأب الذي يعرف قيمة ابنته أكثر من اللازم ، ويؤمن بأن زواجها صفقة خاسرة .. أن يعلمها ويطعمها ويعطيها كل شيء ، فقط ليأخذها شاب رقيق .. من ثم تنسى أباهما للأبد .. ويبدو أنه ظل ينتظر حتى يتقدم (صلاح الدين الأيوبي) أو - على أقل تقدير - وزير خارجية (بوليفيا) لابنته .. فلما لم يحدث هذا قرر أن الحكمة المثلثي هي (دع الفصل في جواره .. إلى أن يعرف مقداره ..)

كانت هشة حزينة .. وقد بدا لي كأنما هي بحاجة إلى أي ظل من الماضي يذكرها بأيام العز ..

سألتني كثيراً عن زوجتي ، وعن تجربة الزواج بأجنبية .. كنت تتمنى أن تجنني تعسا ، ولسبب ما لم أخبرها بالحقيقة : إنني بالفعل سعيد جداً .. لقد أعطيتها ريدوداً رمادية توحى بالمفوض .. توحى بأنني قد أكون سعيداً كالأرقب ، وقد أكون تعيساً كشور معصوب العينين يدير ساقية ماء ..

في النهاية أخرجت ورقة وكتبت عليها رقم هاتف بيتنا ، وطلبت منها أن تطلبني في أي وقت .. ثم افترقنا ...

في العاشرة مساءً دق جرس الهاتف .. كنت على مائدة العشاء ، فنادتني أختي - كان وزوجته عندنا اليوم - كي أود .. فما إن رفعت السماعاة حتى وجدتها هي - (نسرين) ..

شعرت بالحرج نوعاً خاصة وأن (برنادت) في الصلاة ، لكنني كنت مهذباً ورحت أستمع بهدوء .. برزاة ..

الحقيقة أنها كانت تقول الكثير من الكلام الفلرغ .. ثرثرة جداً ، ولا أزعج هنا أنها كانت تريد استعفتي .. لا .. هي تريد شيئاً لا تعرف ما هو ولا تستطيع شرحه لو طلب منها ذلك .. أعرف هذه المشاعر .. فقط تبقى خطوط اتصال مفتوحة مع الماضي .. وتريد أن تشعر بأنها مازالت ساحرة وأن الأثر الذي تركته في نفسي يوماً ما لم يضعف بعد .. حسن .. من ناحية الجمال لا أنكر أنها مازالت ساحرة .. فهي ليست في السبعين من العمر .. لكنني بالفعل أحب (برنادت) .. أحبها كثيراً وأشعر بأن ما مر بي في حياتي من قبلها كان هراء ..

طالت المحادثة نحو ساعة .. وقرب نهايتها أعطتني رقم هاتفها . وبخلت (برنادت) لتري ما هنالك ، فرفعت كفي بمعنى ألا تقاطعي الآن .. هزت رأسها وجلست على الأريكة تقلب بعض لمجلات نسائية .. هي لا تفهم العربية لكنها تعرف منها قدرًا خطراً .. الخطر في الموضوع أنني لا أعرف مقدار ما تعرف بالضبط ..

انتهت المكالمة ، فسألتني :

- « صديق قديم ؟ »

- « شيء من هذا القبيل .. »

الاثنين ٣ يونيو :

صار يومى ذا نظام لا يتغير .. الخروج صباحاً إلى العمل .. أقصد ذلك المختبر المرتجل فى (حلوان) .. والطريف هنا أننى صرت أدون ملاحظاتي بالبولندية .. ماذا يحدث لى ؟ المخيف فى الأمر هو أننى لست خائفاً .. لا أرى فى هذا غرابة ..

يجب أن أقول هنا إننى صرت متى فرغت من عملى أقابل (نسرين) .. إنها تعمل هنا .. هناك مستشفى خاص صغير اسمه (الروضة) صاحبه جراح يختصها بتخدير حالاته .. وبما أنها بحاجة إلى أن تتفق على نفسها فإنها تمضى أكثر وقتها فى (حلوان) .. إنها لصدفة غريبة ..

كنا نجلس فى أى مكان .. أو نمشى معاً نتكلم .. وببطء بدأت الفتاة تشعر بأننا ننتمى معاً إلى (نادى الخاسرين) .. كلانا محبط بشكل ما ، وكلانا لم يجد السعادة بعد مرور هذه الأعوام .. عندها يلتقى الجنديان العائدان من الميدان بعد ما هزما فى الحرب .. عندها يبعث حب الماضى ..

فكرة رومانسية عذبة .. وكأنت تروق لى بشدة فى الماضى .. المشكلة هنا أنها خطأ على طول الخط .. على الأقل بالتنسبة لى ..

لكن - قل لى من فضلك - ما السبب الذى يجعلنى أعب بالضبط الدور الذى تتمنى أن تراتى فيه ؟

ما سر هذه الكلمات الغامضة التى أقولها وتوحى بأنها على حق ؟ كلانا خسر حربيه الخاصة ، وعلينا أن نجد بعضنا .. علينا أن نخوض حرباً واحدة معاً .. والأهم أنها تحسبنى آتى إلى حلوان من أجلها فقط ..

وفى نهاية اللقاء أقول لها وأنا أنظر لعينيها فى حزن :

- « الآن سأتركك .. يجب أن أعود لها .. »

وأضغط على كلمة (لها) بما قد يعنى (اللعينة) أو (للحدأة) أو (لمصاصة الدماء) ..

فتشبهى فى لوعة ، وتغطى شفתיها ..

ثم أستقل المترو عائداً .. وهنا تخطر لى فكرة رهيبه ..

إننى أعرف لماذا أعب هذا الدور .. لست نذلاً ولا (فاتن نساء) لا سمح الله .. إننى أفكر فى شىء آخر .. شىء

يتعلق بالكرات الزجاجية .. ولماذا هي بالذات ؟ ربما لأننى أجد فى نفسى رغبة خفية فى الانتقام .. للمهانة التى شعرت بها وأنا أغادر دارها شبه مطرود .. وأنى تقول لى ما تقوله أية أم أخرى : غداً تزوجك من هى خير منها ألف مرة .. لكنى لم أكن أريد خيراً منها .. كنت أريدها هى ..

ستكون (نسرين) لى للأبد .. لكن فى صورة بلورة زجاجية غامضة منقاة فى المفاعل .. إتنى أقاوم حتى هذه اللحظة ، لكنى أعرف كيف سينتهى الأمر .. إن المعركة بين الحمل والأسد محسومة .. الحمل هو مابقى منى ، والأسد هو ذلك الهاجس الذى يسيطر على كل خلية من خلاياى الآن ..

أكره أن أعترف لنفسى بهذا ، لكنه حقيقى وأعرف أننى سأفعله ..

فقط حين أجد الفرصة .. وحين يخمد ذلك الصوت الأخير الذى يهيب بى ألا أفعل ..

الأربعاء ٥ يونيو :

- « أين أنا ؟ »

نهضت من الفراش فى رعب ونظرت حولى ..

حجرة فاخرة جداً مريحة جداً .. ثمة جهاز تلفزيون مفتوح على منضدة وهو يعرض فقرات من قناة أجنبية ما .. راحة عطرة فى الجو .. أنا ارتدى منامة حريرية لكن البرد يتخلل ثيابها .. البرد القادم من جهاز تكييف مركزى لا تعرف أين هو ، لكنه يصل بكفاءة حقيقية ..

وتوترت أعصابى كأعصاب قط ، حتى لو أن الباب انفتح لوئبت مترين فى الهواء .. نهضت وتفقدت المكان .. أولاً واضح من القائمة الموضوعات على النضد ، ومن الشعار الموجود فى كل مكان أن هذا فندق فاخر .. فندق من الفنادق التى تسمع عنها من حين لآخر عند زفاف ابنة الوزير الفلانى على نجل رجل الأعمال العلالى .. ثانياً لى هنا حقيقة لم أرها قط ، بها حاجيات يبدو أنها تخصنى .. ويبدو أننى ابتعت ثياباً جديدة قبل القدوم هنا .. ثالثاً : الساعة الآن العاشرة صباحاً .. ولم أكن أعرف اليوم وقتها ..

من الواضح تمامًا أنني لن أعرف أبدًا متى ولا كيف جئت هنا .. هذه حالة من فقدان الذاكرة المحدد Circumscribed amnesia حيث تذكر كل ما قبل وما بعد حادث معين ..

الآن هناك مشكلة صغيرة .. كيف أغادر هذا المكان ؟ سروالي معلق على المشجب .. بحثت في حافظتي جيدًا فوجدت الـ .. حمداً لله .. بطاقة الانتماء موجودة .. هذا يريحني .. يجب أن أفر من هنا فرارى من الأسد ثم أحاول فهم ما حدث .. فهم الصورة كاملة ..

بحثت في دليل الهاتف الخاص بالفندق ، حتى وجدت رقم الاستقبال .. استجعت كل ما في صوتي من (أظنة) متذكراً ما يفعله أبطال الأفلام في مواقف مماثلة ، وطلبت من الموظف أن يعد لي الفاتورة لأنني مغادر الآن ..

ثم بدأت ارتدى ثيابي مبلى الفكر .. لم أتصور قط أنني من هذا الطراز لكن يبدو أنها الحقيقة .. فقدان ذاكرة هستيري .. جربت هذا الشعور من قبل ، ولكن في ظروف جد مختلفة ..

وفي الاستقبال الفاخر ، حيث تجد زحاماً يشبه ما تجده في أي (مول) في وسط البلدة ، دفعت ببطاقة الانتماء

الحساب للباهظ لما عرفت أنه ثمن قضاء ليلتين في هذا المكان .. ووقفت أنتظر إجراءات الـ (تشيك أوت) كما يصر للموظف على أن يسميها ..

وحدي .. إذن أين (برنات) ؟ وما هي الظروف التي قدسني إلى هنا ؟ وما موقفهم في البيت الآن ؟؟

تري هل هي مشجرة ؟ كل زوج يمر بواحدة ويذهب إلى ذلك المكان المجهول (المنزل) الذي يبرهن فيه على أنه قادر على الاستقواء عن البيت .. لكن هل نشبت بيني و(برنات) مشجرة ؟ ومتى ؟ ولماذا نسيت كل شيء عنها ؟

الحقيقة أنني كنت أرتجف .. لم أذق الخمر في حياتي ، لكنني أفهم شعور السكر الذي يطردونه من الحانة في الخامسة صباحاً ليجد نفسه في الشارع ، عاجزاً عن معرفة من هو وأين هو ولأين يذهب ..

وحين جاءت حقيقتي ، وحين وجدت نفسي في الميدان الواسع ، وحين كنت منى سيارة الأجرة تعرض خدماتها .. عندها فقط ثبت إلى رشدي .. على الأقل يمكن أن أعود إلى البيت ..

الآن سأريحك من التفاصيل ..

قلت تعرف كيف قوبلت لدى عونتى إلى الدار .. (برنادت)
فتحت الباب - يا لشحوبها المريع ! - ورأيتى ثم هرعى إلى
الداخل .. أمتى احتضنتنى فى جنون وهى تبكى .. أخى كان
أقرب إلى الغضب غير المتحفظ .. نادانى بـ (بنى آدم) ..
كعادته حين يحتقن ، وقال وهو يضغط على أسنانه :

- « كلمة واحدة من أجل الأغنام التى تنتظرك فى الدار ..
لكنك لا تطبق مجرد كلمة واحدة .. كان يوسعك أن ترفع
سماعة الهاتف من أى مكان .. »

ثم همس وهو يقرب فمه من أذنى :

- « لم نخبر الوالدة .. لكنى مررت على كل أصدقائك
والمستشفيات ولم أبلغ الشرطة كى لا أسبب لك حرجاً .. »
وأشار إلى الحقيبة :

- « لرى أنك أعددت كل شىء لقضاء فترة طويلة ..
فلماذا تتأملت وعدت ؟ »

مذهولاً أسمع هذا كله .. مفتوح الفم كأبله .. عاجزاً عن
إعطاء رد منطقى ، وقد زاد هذا الأمور سوءاً .. بدوت
بالضبط كأنتى نادم .. إنها عودة الابن الضال .. الذى كان
(ضالاً فوجد) ..

فى النهاية جلست مع أخى فى غرفة الجلوس ..
وكنى أسمع (برنادت) تنهه فى مكان ما من الدار .. أشعل
لغافة تبغ ، ثم وضع كوب الشاي أمامى ، وقال فى لهجة
العارفين ببواطن الأمور :

- « أين كنت ؟ »

قلت شلرد الذهن :

- « فى الفندق .. بعض التغيير .. »

استنشق بعض الدخان ، وأبقاه فى صدره ليشعر بأنه
حكيم ، وقال :

- « هل ضايقتك ؟ تلك الفتاة .. كان هذا متوقعاً لأن
اجتماع ثقافتين مختلفتين أمر لا يدعو للاطمئنان .. ليتك
أصغيت لكلامى حين نصحتك بأن تتزوج مصرية .. هى
انقذت على أن تفهمك وتعرف ألامك .. قل لى ما نوع
المشادة التى نشبت بينكما ؟ هل أساءت لك كثيراً ؟ ليتنى
أفهم الفرنسية وإلا لاستطاع لسانى السليط أن يلقنها
برسناً .. يجب أن تعرف أنها تزوجت رجلاً شرفياً ، وأنه
لا يقبل أن تملأ أوامرها عليه .. ولكن .. صبراً .. لست
وحدك .. إن خالك قد يستطيع أن ... »

كنت أجنُّ من ثرثرته .. رأسى قاعة فارغة يتردد فيها
صوته على ما لانهائية .. فلمسكت برأسى وقت فى صعوبة :

- « قوسل إليك .. لم تكن هى المشكلة على الإطلاق .. »

- « إذن ما هى المشكلة ؟ هل ضايقتك أمى ؟ »

- « لا أعرف .. لم ألتق أية إساءة .. كل ما فى الأمر
أننى لست على ما يرام .. صدقتى .. »

ثم نهضت عالماً أننى بذلك أجازف بخسارته .. لكن
لا مفر لى .. لا أستطيع التظاهر بلطف المعشر بينما لغز
مبهم يحوم حول عالمى كله .. الظل المرعب العملاق فى
الأفق يلقى الظلام على كل تفاصيل حياتى ..

وكما توقعت كف عن الكلام .. بعد قليل سمعته يودع
أمى لأنه سينصرف ..

ودخلت غرفة النوم وبحثت عن أوراقى ..

رأيت (برنات) جالسة على الفراش كقطعة تصبة ،
تتظاهر بأنها تقرأ مجلة طبية من مجلاتها ..

لم أنظر لها .. فقط قلت وأنا أفتح خزانة الثياب :

- « (برنات) .. أنا لا أعرف ما حدث وليس لدى أى
تفسير .. لكنى أريد منك أن تمنحني ثقتك .. أنا لن أؤذيك
أو أخدعك عامداً أبداً .. »

قلت فى برود :

- « لكنك تفعل ذلك عن دون قصد طيلة الوقت .. إننى
مدهشة من كم الأشياء التى تفعلها من دون قصد هذه
الأيام ، وأرجو أن تتأخر قليلاً اللحظة التى تسكب فيها
الكبروسين على ، وتشعل الثقاب من دون قصد .. »

ثم ابتسمت بمرارة وقالت :

- « سيعزبنى وقتها أنك تفعل هذا غير عامد .. »

أعطينى أكثر ! هلمى يا فتاة ! لو كان هذا كل ما لديك فأنا
راض سعيد .. بضع كلمات لا تخدش ولا تدمى .. كنت أتوقع
السوء ذاته ، لكنك بالفعل رقيقة كما عرفتك يوماً ..

قلت لها فى مرح وأنا أبدل قميصى :

- « قولى لى .. هل رأيت القاهرة القديمة ؟ ألا تتمنين أن
تري الأهر ؟ »

نظرت لى فى حيرة وقد انفرجت شفاتها عن صرخة
لوشهقة أو احتجاج ، وهممت :

- « (علاء) .. لقد بدأت تخيفنى !! »

الخميس ٦ يونيو :

لا أعرف السبب لكن (برنات) راضية عنى اليوم ..
يبدو أن جولة أمس كانت ساحرة .. لقد رأيت الأزهر للمرة
الأولى ، وسمعت قصصى عن بوابات القاهرة .. الحقيقة
أننى فيما يخص القاهرة القديمة يمكن بلا جهد كبير أن
أكون مرشداً سياحياً .. برغم أن ذاكرتى أظارت يوماً كاملاً
أو أكثر فإن معلوماتى العامة لم تضعف .. وفى المساء
مشينا على الكورنيش وأخذتها لدار سينما ..

- « فى القاهرة لا يمكن لعاشقين أن يعتبروا نفسيهما كذلك ،
ما لم يمشيا على النيل ليلاً ويلتهما الترمس ! »

أحببت الترمس منذ قدومها إلى مصر ، وإن كاد يقضى
عليها بالإسهال فى البداية .. لكننى أثق بأن المعدة التى
تحملت (الكاسافا) وطعام (سافارى) الرديء سوف تصمد
أمام الترمس ..

لست طفلاً .. هى قررت أن تسافرنى على أمل أن أتكلم ..
ظلت تصفى وتبتسم وتبتسم وتصفى .. لكنى ظلت غامضاً ..

كلانا يخدع الآخر .. أنا أظهار بالمرح بقلب كسير هائل ،
وهى تتظاهر بالمرح بفضول أنثوى يحرقها ..

وحين عدنا كنا قد اكتشفنا بعضنا من جديد ..

اليوم أجد أننى راغب حقاً فى الذهاب إلى المفاعل لأرى
ماتم عمله ..

وهكذا تناولت إفطارى ثم أخبرتها بأننى ذاهب لرؤية ذلك
العمل للمطلق فى (حلوان) .. طلبت أن تذهب معى
فاعتذرت لها بأنه (عمل رجال) أو Guy thing .. ثم قررت
أن الهجوم خير وسيلة للدفاع فسألتها :

- « متى سنقولينها لى ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « أنت تغيرت كثيراً يا (علاء) .. ماذا دهاك ؟ »

هتسبت وضغطت على شفيتها السفلى فى تحد ، وقالت :

- « لائن أقولها ! »

تتفست الصعداء ، ونهضت .. هنا أردفت وأنا على

اللباب :

– « حين يتحول الماء بالكامل إلى خل ، فمن السذاجة أن تسأل عما تغير فيه ! »

تري ما معنى هذه العبارة الملتفة ؟

عدت إلى المختبر .. فتحت الشقة للنقية وفتحت النوافذ .. ثم خرجت إلى الشرفة أستنشق أنسام الهواء الذي هب على من الجهات الأربع .. من الغريب أن يجمع مكان واحد بين البهجة والبؤس .. بين النظرة والقذارة .. هذا السطح يجعله رحيماً فعلاً ، ويمكنني أن أرى الأيام القديمة على هذا السطح حين كانت الجارات يصعدن ليعلقن الغسيل على الحبال .. والأطفال يلعبون هنا وهناك .. ربما اتخذت قطعة هذه القصعة المقلوبة بيتاً لهريراتها الوليدة ..

أما اليوم فالمكان كله ملكي ..

هنا سمعت (الكلاكس) المميز يقول :

– « يا واد يا دقدق يا بن الإيه ! »

فلما تأخرت قليلاً تحول النداء إلى (يا مستيبيبيبيته !) .
يمد الياء طويلاً جداً كأنه يولول ..

تباً ! لنا أكره الفضول والفضوليين وهذا أسوأ وقت يأتي فيه (أشرف) بسيارته تحت البناية ليستعرض ثقافته التي اكتسبها من سائقى القورى .. إنه - بلا فخر - يعرف عشرين نعمة كاملة ، يستدعى بها كل واحد من أصدقائه .. وقد كاد سائق شاحنة يفتك بنا ذات مرة ؛ لأن (أشرف) استعمل إحدى النعمات التي يعتبرونها سبة بذينة للغاية .. طبعاً أكدت للرجل أننا (أفنديان) مترفان لا يفهمان معنى هذه النعمة ، وكيف نفهمه ؟

نزلت في الدرج لأفتح البوابة ..

كان (أشرف) يقف هناك جوار سيارته في لسمع حالاته ، وقدرت أننا سننتشاجر على الأرجح ..

– « هل عندك ماء ؟ إن السيارة جافة كالقش .. »

وقبل أن أرد ، أراحني جانباً ، وصعد في الدرج وقد بدأ اللهاث باعتبار ما سيكون .. وقال لى وهو يصعد :

– « مررت عليك في الدار فقالوا لى إنك خرجت .. عرفت أنك هنا .. »

ووقف على الباب يجاهد من أجل التنفس ، وقال :

– « أين كنت في اليومين الماضيين ؟ لقد جئت هنا عدة

مرات ، وأكاد أقسم أنك كنت موجوداً .. لقد كانت النوافذ مفتوحة .. لكنك لم ترد على .. »

« أنت مخطئ .. هذه أول مرة أدخل فيها هذا المكان من يومين .. »

« إذن أنت لم تغلق النوافذ .. وأين كنت إذن ؟ »

قلت كأنما أغشى :

« فى الدار حتى خلت من نارنا الدار .. »

قال دون أى تعبير على وجهه :

« ما كنت يا عماء معهم .. »

وراح يجوب الشقة ويتفقد الأجهزة والثلاجة الأقفية .. ينظر إلى الأسلاك والتوصيلات ومثبت التيار .. أنا أكره هذا .. أكرهه ..

قال فى النهاية :

« لا يوجد جهاز كمبيوتر واحد .. ماذا تقطعه هنا بالضبط ؟ »

قلت فى ضيق :

« (أشرف) .. أنت لا تفقه شيئاً عن الكمبيوتر .. فلماذا قررت أن تكون (بيل جيتس) فجأة ؟ »

« أنا لا أفهم فى تخليل الزيتون كذلك .. لكنى أعرف على الأقل أنه لابد من براميل وزيتون كحد أدنى كى تصف المكان بأنه (معمل تخليل زيتون) .. »

قلت فى نفاذ صبر :

« ليكن .. أنا لم أشتّر شيئاً بعد .. فقط أعد المكان .. »

« منذ أسبوع ونيف تعد المكان .. هذا غريب .. لاحظ أن وقتك هنا ليس مفتوحاً إلى هذا الحد . »

« أعرف هذا .. شكراً .. »

غمغم فى غموض :

« لا أعرف ما يحدث لك لكنى لا أحبه كثيراً .. بمناسبة الزيتون والكمبيوتر والحب .. كيف حال الحمام هنا ؟ »

« يرسل لك تحياته .. يمكنك أن تستعمله وإن كنت لا أتصح بهذا .. لم ينظف بعد .. »

« للمحتاج يركب الصعب .. »

وانطلق إلى حيث الحمام .. بينما جلست أنا أفكر .. يجب للتخلص منه بأى شكل .. لماذا أخشى الصدام إلى هذه

الدرجة ؟ ما قيمة فقد صديق آخر ؟ أعرف المسبب .. أنا لا أريد شكوكاً جديدة من حولي .. لا بد من كسب ثقته ..

بعد قليل عاد من الحمام وكان يحمل شيئاً في يده .. وإن استخدمه لتجفيف يده :

- « بالمناسبة يا (علاء) .. ما هذا ؟ »

كان هذا جلباباً أزرق اللون نظيفاً وبحالة جيدة .. من النوع الذي يلبسه أولاد البلد الموسرون .. أنا أعرف جيداً أنه لم يكن في الحمام من قبل .. لم يكن في الحمام شيء .. ومن العسير أن أزعّم أنه يخصني ، فهو ليس من الجلابيب البيض التي يلبسها أبناء المدينة من حين لآخر طلباً للتخفف ..

لهذا قلت :

- « وكيف لي أن أعرف ؟ كان في الشقة من البداية .. »

نظر له في شك وقال :

- « نظيف جداً .. لا توجد علامات إهمال عليه .. لا أتريه .. لو كان منسياً لتحول إلى خرقة رثة .. »

أنا أيضاً كنت مندهشاً وخطرت لي الفكرة ذاتها .. لهذا قلت صادقاً :

- « لا أعرف .. لست مطالباً بتقديم شهادة منشأ عن كل شيء أجده هنا .. هذه شقة مفروشة لو كنت لاحظت هذا .. »

وتذكرت التعبير الأمريكي العامي (هل اشترى هذا ؟ Did he buy that) بمعنى (هل صدق هذه الكذبة ؟) .. الحقيقة أنني بائع خائب ، ولم أنجح قط في بيع أية كذبة للرجل ..

جلس (أشرف) بعض الوقت ، ثم وجدني بارداً كالثلج ، فأعلن في حرج أنه سيذهب كي أفرغ لعملي ، ودخل إلى الحمام من جديد ليغلب بعض الماء في زجاجة من أجل السيارة ..

ولكني كنت أعرف أنه سيعود ..

ما إن أنصرف حتى أمسكت بالجلباب أتفحصه .. للحظة تمنيت أن يكون هذا لصاً تسلل إلى الشقة ، وخلع جلبابه ليجيد عمله ثم تركه ورحل .. هذا بالطبع هراء لأن اللصوص لا يلبسون جلباباً فاخراً كهذا .. ولا يتركونه حين يرحلون ..

الآن لدى علامات استفهام أكثر من أن يتسع لها راسي ..

اتجهت إلى المفاعل وفتحته .. ورحبت أنامل البخار
الأزرق البارد المتصاعد من الداخل ..

بعد قليل بدأ ينقشع .. واستطعت أن أرى للكرات الزجاجية
المختومة المتصلة بأسلاك .. كنت قد تركت خمس بطوريات
يوم الجمعة .. من أين جاءت هذه الكرات الثلاث ؟

انتصب الشعر في مؤخرة عنقي ، وأنا أمسك بإحدى
الكرات .. كانت شفافة وإن كان يصبح فيها دخان غريب
كان هناك من نفت فيها دخان لغازة تبغ قبل أن يختمها ..
ورأيت ملصقاً صغيراً قمت بتثبيته في وقت ما على الكرة
(وهو ما لم ألقه من قبل) يحمل الحرف H .. ما معنى هذا ؟

الكرة الأخرى تحمل الحرف N .. الكرة الثالثة تحمل
الحرف Y ..

وشعرت بجفاف في حلقى ..

ما هي احتمالات أن أكون مخطئاً ؟

ما احتمالات ألا يكون الحرف N يرمز إلى (نسرين) ؟

رباه .. ماذا فعلت في ذلك اليوم الذي غبت فيه عن وعيي ؟

بإصبع ترتجف تناولت جهاز الهاتف .. وضغطت على
أرقام بيتها ..

الجرس يدق .. أسمع صوته يتردد في جنبات البيت
الكنيب ..

لا أحد .. لا أحد ..

أعيد الطلب من جديد .. أخذت نفساً عميقاً وأكرر
المحاولة ..

أكرر .. أكرر ..

وفي النهاية أدرك أن يدي ملوثة بالعرق حتى إن
السماعة تنزلق من بين أناملي كثعبان الماء .

هل أنا مندهش حقاً ؟



الجمعة ٧ يونيو :

لا بد أنني طلبت ذات الرقم مئة مرة .. صارت أصابعي تطلبني
لا شعورياً حتى وأنا جالس إلى مقدة الطعام أو في المترو ..

كنت أعرف أن الأمر عجيب لأن الفتاة لا تعيش وحدها .
أبوها وأُمها حيان يرزقان ، ولها أخت أصغر سنًا .. إلا أن
المرة المائة بعد الواحد نجحت .. ذكرني هذا بالدكتور
(إريخ Erlich) الذي جرب ٦٠٥ مركبات على بكتريـ
الزهري ، إلى أن نجح العقار التالي فجأة .. وهكذا كان أول
دواء للزهري في التاريخ هو العقار ٦٠٦ ..

هكذا في المحاولة رقم ١٠١ ارتفعت سماعة الهاتف
وسمعت صوت أب من الطراز الذي يعرف قيمة ابنته أكثر
من السلام .. كان الصوت هو ذات الصوت الذي حطم
أحلامي منذ أعوام وإن كان منهاكاً متعباً ..

« مساء الخير .. هل الآتية (نسرين) هنا ؟ »

كنت محرجاً بالطبع .. وتوقعت ردًا فظًا .. لكنه لشدة
دهشتي قال باهتمام حقيقي :

« من المتكلم ؟ »

« هي تعرفني .. إني .. »

« من المتكلم ؟ »

لاحظت - في كثير من دعر - أنه يتصرف كمن يمسك
بخيطة لا يريد تركه .. ولحسن الحظ كنت أتكلم من هاتف
عمومي ، لذا وضعت السماعة على الفور .. الأمر لا يتعلق
بغيرة أب على ابنته ، أو رغبته في معرفة من الوغد الذي
يتصل بها .. الأمر يتعلق بحاجته إلى خيط يرشده إليها
أو إلى ما تبقى منها !!

ووقفت في الشارع أفكر في عمق ..

الأمر لا يحتاج لتساؤلات أكثر .. لقد تم .. البلورة التي
تحمل حرف N تشير إليها بلا جدل .. لكن كيف تم ؟

مشاعر متناقضة عصفت بي وأنا أمشي مترنخاً في ردهات
المترو .. خوفاً من أن أكون فعلتها .. رضا عن كوني
فعلتها .. الأمل في أن أكون فعلتها .. عدم الفهم لكيف
فعلتها .. متى وأين فعلتها ؟

طبعاً ابتعت للصحف كلها لأعرف ما حدث .. لا بد من خبر
ما يشير إلى تحقيقات الشرطة بصدد اختفاء فتاة في الثانية
والثلاثين .. كتب (على الشلفاتي) محررنا .. إلخ . إلخ ...

لكن لا يوجد شيء من هذا ..

وماذا عن حرفي H و Y ؟ الرجل ذو الجلياب لا يمكن أن يكون اسمه (ياسر) فهل هو (يحيى) أو (ياسين) ؟ وماذا عن (حمدي) أو (حلمي) ؟

ماذا حدث يوم الثلاثاء الرابع من يونيو ؟

ماذا حدث ليلة الثالث من يونيو ؟

هناك خيط واحد يمكن أن يبدأ به ..

وفي السابعة مساء اجتزت مدخل الفندق إلى حيث (اللوبي) .. وسط الصخب والزحام ومجموعة من السياح يقفون أمام موظفي الاستقبال ، فشقت طريقى ، وأنا أقدر أن ما سأقوله سيكون سخيفاً جداً ..

بعد محادثة طويلة بالإنجليزية مع عجوز بريطانية شمطاء ، التفت لى الموظف رافعاً حاجبيه فى تساؤل ، مع مسحة من قلة الذوق التى يفرق بها أغلب موظفى السياحة بين معاملتهم للسياح ومعاملتهم لأبناء بلدهم .. لا بد من مسحة التعالى هذه .. قلت له فى جفاء مماثل :

- « أريد معرفة متى جاء إلى الفندق من يدعى (علاء عبد العظيم) .. أعتقد أنه جاء يوم الإثنين مساء ، أو يوم الثلاثاء لكنى أريد معرفة الساعة .. »
نظر لى ملياً ، ثم غمغم فى اشمزاز :

- « لكن .. إننى أتذكرك .. لحظة واحدة .. »

وقح بقرأ ليراجع الأسماء ، وضرب على عدة مفتيح من الكمبيوتر ، حتى توقعت أن يأخذ عينة من جلدى لإجراء تحليل (تفاعل سلسلة بوليميريز PCR) .. ثم قال بنفس السماجة :

- « الإثنين .. بعد منتصف الليل .. بمعنى آخر فى الساعات الأولى من صباح الثلاثاء .. كان هذا فى Shift الخاص بى .. أنت (علاء عبد العظيم) نفسه .. هل هناك دعابة ما ؟ »

طبعاً لا أتوقع منه أن يقول (وردية) بدلاً من Shift لكنى تناسيت ذلك فى محاولة البحث عن تفسير لهذا السلوك الغريب منى . نظرت حولى وابتلعت ريقى وقلت :

- « حسن - لنقل إنها - بصراحة - هى حالة مرضية نجعتنى لتصرف دون أن أعرف ماذا فعلت ولا مع من كنت .. »

- « هذا يبدو غريباً يا سيدى .. »

- « فقط بق بى .. يبدو الأمر كمزحة أو خدعة ما .. حسن .. أؤكد لك أن هذا غير صحيح .. فقط أرجو أن تحيب .. هل كنت وحدى ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

- « طبعاً يصعب أن أكون دقيقاً .. على الأقل أنا متأكد من أنك كنت ثملاً وكانت معك امرأة تضع نظارة سوداء .. ربما كان معك رجل لكنى لا أستطيع أن أؤكد .. والغرفة كانت Single على كل حال .. »

امرأة بنظارة سوداء ! ثمل ؟ أنا ؟ يا للكارثة !

- « وهل صعدت المرأة معي إلى غرفتي ؟ »

مط شفته على طريقة (لا - أستطيع - لن - لساعتك - لكن) ..
وقال :

- « من المستحيل أن أنكر كل هذا ، خاصة أن الـ Season في ذروته .. »

ونسيت أن أشكره .. رحلت شارد الذهن كاسف للبال ..

لكنى لم أستكمل خيوط القصة بعد .. ترى هل هناك طرف آخر ألجأ إليه ؟



السبت ٨ يونيو :

صرت أكره العودة للبيت .. لأنى أعرف أن مغادرته ستكون صعبة .. إن الخروج من الحمام ليس كالدخول فيه ، ولا بد من أسئلة واحتجاجات .. لا ألوم أسرتى كثيراً ، لكنى يجب أن أجد جواباً لمعضلتى .. وهم يعقدون الأمور .. النتيجة هى أنني صرت أمضى أكثر اليوم فى الخارج فلا أعود إلا لأنام .. هذا يقلل المواجهات ..

كانت (برنادت) شاحبة بشدة لكنى لم أوجه لها أسئلة حتى لا أفتح أبواب (جهنم) ..

الحقيقة أن التفكير فى تجاربى و(الظاهرة) بدأ يخفت قليلاً .. لا أعرف السبب لكنى بالفعل أشعر بهلع عارم من أن أكون فعلتها حقاً .. برغم أن الفكرة منذ أيام لم تكن بهذا السوء .. ثمة فكرة واحدة تلح على ليل نهار ، وهى أن أبرهن لنفسى على أنني لم أفعل ذلك .. أما لو تأكدت ..

لو تأكدت مما أخشاه فلن أتردد .. كنت معروفاً فى الصف للدراسى بلأنى الوحيد الذى يسلم نفسه للمعلم معترفاً بأنه هو

من قنف قطعة الطيشور على جاره .. وكنت ألقى ضربات
العصا شاعراً برضاً عن النفس - ممزوجاً بفخر لا شك فيه -
يزيل الألم .. أنا الوحيد الذى جرو على الاعتراف .. وعلى
كل حال لا قيمة لحياة قد تمتد خمسين عاماً آخر ، وأنا
أواجه نفسى كل يوم بالحقيقة المريرة : أنت قاتل سادى
مريض ..

ليتنى ما فتحت مفاعلك يا (كومارسكى) .. ليتنى لم ألق
وصيتك الدامية .. ليتنى لم أتسلق الجبل أصلاً .. والمؤلم
هنا أن فى الموقف مسحة (ماتوية) لا تخفى على أحد ..
الشر قوى جداً ويختار ضحاياه جزافاً وليس لأنهم
يستحقون ذلك .. أنا بالتأكد لم أستحق هذه اللعة حين
قبلت مهمة تسلق الجبل .. لا أحمل فى كياتى من الشر
الخفى ما يبرر أن أحمل كل هذا العبء ، وأن أتصرف
بقذارة ضد كل قناعاتى .. أؤذى نفسى والآخرين ..

والآن هى ورطة لا أعرف منها فكاً ..

ماذا حدث يوم الثلاثاء الرابع من يونيو ؟

ماذا حدث ليلة الثالث من يونيو ؟

رفعت الممرضة السمراء رأسها عن الدفتر الذى تمسك
به ، فعرفت أن اسمها بالتأكد (محاسن) .. وبالتأكيد
تساجرت مع زوجها اليوم ، وتمقت كل صنف الرجال .. ثم
أر قدميها لكنى أراها بعين الخيال كحزمتى فجلى فى
شبه رث ..

كنت قاعة الاستقبال خالية ما عدا رجلاً يروح ويجىء حاملاً
كيساً من البول ، يتدلى بقسطرة من تحت جلبابه الأبيض الذى
يرفع طرفه بيده الأخرى .. هذا بالتأكيد عم (بسيونى) وقد مر
منذ يومين بجراحة ناجحة لاستئصال حصوة ..

سألت الممرضة :

« هل هو بالداخل ؟ »

كانت لافتة (الروضة) - اسم المستشفى الخاص - تعلو
رأسها ، وجوارها بعض الآيات القرآنية ، ثم عدة شهادات
موضوعة فى أطر ، وقصيدة كتبها مريض فى مدح الطبيب
تبدأ بالمقطع العبرى :

(أسرع نحوك بالجراح الدامية .. فشفتها بالعلم والأخلاق) ..

طبعاً لو سألته عن الألف الزائدة على (الأخلاق) لقال لك

إنها الضرورة الشعرية ، وإليك - عدم المواجهة - لا تفهم
هذه الأمور .. أشعر كأن هناك شاعراً واحداً حملاً يكتب كل
القصائد التي تراها في عيادات الأطباء ..

قالت (محاسن) في كراهية وبدون أن ترفع عينها نحوي :

- « بالداخل .. »

- « إن قولي له إن من يدعى الدكتور (علاء عبد العظيم)
يريد مقابلته .. »

كان الطبيب ملئ الجسد يبدو عليه الرضا عن الحياة
والبشر .. وإن كان قد تغير نوعاً حين سألته عن الدكتور
(نسرين) التي تقوم بتخدير حالاته ..

قال في ضيق :

- « للمرة الرابعة أقول إنني لا أعرف عنها شيئاً منذ
يوم الإثنين .. أنهت عملها وخرجت في العاشرة مساءً ..
هذا يحدث دوماً في يوم الصليبات الكبرى .. قلت هذا
للشرطة وقلته لأبيها .. والآن أقوله لك ، وإن كنت لا أعرف
من أنت حقاً .. »

- « ولم تعد قط ؟ »

- « لم تعد قط .. والآن من أنت ؟ »

- « أنا زميل .. »

وخرجت من الحجرة قبل أن يوجه لي المزيد من الأسئلة ..

في الخارج كنت أصطدم بعم (مسيوني) الذي يجوب
المكان كالأشباح .. ثم اتجهت إلى (محاسن) التي جلست
تقرأ كتباً عن (كيف تسعدين زوجك ؟) .. طبقاً تمنيت من
أعماقي أن أصارحها بأن الطريقة المثلى لإسعاد زوجها هي
أن تموت أو تسمح له بأن يطلقها ، لكنني توقعت ألا ترحب
بهذا الرأي ..

سألتها في كياسة :

- « دكتورة (نسرين) .. ألم تعد تأتي هنا ؟ »

نظرت لي ثم قالت في ضيق :

- « نعم .. لم تعد تأتي .. ثم لماذا تسأل ؟ من أنت ؟ »

- « أنا .. (علاء عبد ...) »

- « ولنا غير مخولة بالكلام معك ، والآن أرجو أن تغرب

عن هنا .. أرني عرض كتفيك !! »

وانفتح فمها عن آخره ، وتعالى صوتها فى موقية
وفظاظة فهرعت أغادر المكان ، ولو كنت فى حالتى النفسية
لعدوانية لمعتدة لاستمتعت بهذه المشاجرة .. لكنى الآن هش
كطفل ، قلو صفنى أحدهم لما وجدت القوة على الاحتجاج ..

الآن أنا أعرف الحقائق جيداً : (نسرين) اختفت فعلاً ..
أهلها يحترقون لهفة عليها .. الشرطة تحقق .. ليس الأمر
وهماً .. فقط هناك واحد فى الكون يعرف أين هى .. ولكن
أهلها لن يسروا كثيراً لو حصلوا على البلورة التى تحوى
(الظاهرة) المنتزعة منها .. تحت التعذيب !

أى نوع من التعذيب ؟ أين ؟ كيف ؟

ماذا حدث يوم الثلاثاء الرابع من يونيو ؟

ماذا حدث ليلة الثالث من يونيو ؟

كنت جالسا فى المختبر أمام المفاعل . لملمى تلك البلورة التى
ألصقت عليها حرف N .. كل هذا يتلخص فى هذه البلورة ؟
لو كنت تحسنين الكلام لقلت لى ماذا فعلت بك ؟ هل حقاً
قتلتك ؟ هل أذيتك ؟

« وهكذا صار بوسعى أن أستكمل تجاربى على تلك الطاقة
الغامضة التى أظننت عيها (الظاهرة) ..

يجب أن أتجنب ذكر بعض الحقائق .. لقد اضطررت للأسف
لارتكاب فظائع كثيرة .. لم أكن قط قاسياً لكنك تفهم أننى
أحرق كل سفينى ، ولم يعد أمامى إلا أن أستمر فى تجاربى ..
يجب أن أتبح وأكون عديم الرحمة .. إن لى رجلين من قبائلى
(الكاشا) على استعداد لعمل أى شىء مقابل المال ، وقد سهلا لى
بمهمونة (جولدسميث) الجزء العنيف من الموضوع ..
الاستدراج .. التعذيب .. ثم الحصول على تلك الطاقة المهمة ..

هذا هو ما قاله (كومارسكى) فى رسالته لى ، فهل
اتضمنت أنت إلى موكب الرعب ؟ هل تحولت إلى مشاهد
مخيف من المشاهد التى كنت أراها ونحن نتسلق الجبل ؟
لو فرضنا هذا فأين الجنة ؟

هنا خطر لى خاطر مرعب ..

أعدت كل شىء لمكانه ، ثم أخذت كشافاً كهربياً صغيراً ،
ونزلت فى الدرج .. إلى الطابق السفلى حيث بنى السلم .
لا أملك سيارة ، لهذا لا أعتقد أبداً أننى نقلت الجنة بسيارة .
لا يمكن أن أدفنها فى الشارع القفر ، ولا أن أتخلص منها

في الضاحية كلها . لن أتركها في الشقة ولن ألقها على
السطح .. إذن

هنا سمعت من يصيح في الشارع ..

أجفلت واتجهت إلى البوابة أفتحها ..

كان فتى في الخامسة عشرة من عمره ، يلبس قميصاً
وسروالاً أبيضين متسخين .. ومعه دراجة . وقد أدركت أنه
حرفي .. قال لي في كياسة :

- « لقد نسي الأسطى (عبد الوهاب) مفك الاختبار عندكم
يوم الثلاثاء .. »

نظرت له في غباء ، ثم سألت السؤال العبقري :

- « ولماذا كان الأسطى (عبد الوهاب) هنا يوم الثلاثاء ؟ »

- « أنتم طلبتموه .. كان هناك منس كهربى في الشقة .. »

- « وأين ورشتكم هذه ؟ »

أشار في اشمزاز إلى الشارع الخلفي :

- « هناك .. جوار المقرطة .. »

كلما من البديهي ألا تسأل عن مكان الشمس .. كل يعرف
مكتها أيها الأحمق ، ففتت أسأله :

- « أنا طلبته ؟ »

- « لا أعرف .. وقد جاء وأصلح كل شيء .. ونسى
المفك .. جئت مرتين فلم يكن أحد هنا »

قلت له في ضيق وأنا أصعد في الدرج :

- « تعال ابحث عما تريد .. »

بعد تفريش طبل في الشقة وجد المفك .. وجنناه فوق لوحة
توزيع الكهرباء .. وكان هناك سوك يوحى بمنس كهربى فعلاً ..
عد الفتى بقيمته إلى معلمه ، وعنت أنا إلى هولجسى السوداء ..

إن كنت أنا في الشقة يوم الثلاثاء .. وكنت أجرى تجاربي ..
هذا بالتأكيد سبب ما حدث للتيلر الكهربى .. هل قضت (نسرين)
ليلة الإثنين هنا ؟ مستحيل .. على الأرجح هي لقيت نهايتها
يوم الإثنين ، واتهمكت أنا في (العمل) يوم الثلاثاء كله ..

من يملك الإجابة عن هذه الأسئلة ؟

هنا تذكرت ما كنت بصده ..

أغلقت الباب ، ووقفت هنيهة في بئر السلم المظلم حتى
اعتلت عيناى للظلام .. لو أنني قلت فيلاً وأربت بظهفه فلا يوجد

ممكن أفضل من هذا .. بالفعل هناك جوال به بعض بقايا الأسمنت
وهناك قصعة ومطرقة من النوع الذى يقال له (أجنة) ..

الجدار تحت السلم كله مكسو بالملاط .. فلم يعن أحد بدهان
ما نتج عن عمل مبيض المحارة .. عيناى قلدرتان الآن على
تميز لاختلاف لون الأسمنت بين الجدار وبين بقعة فى مركزه
بالضبط .. طبعا قد جف الأسمنت الآن لكن كثافة العجينة وبراعة
من يؤدى المهمة تباينت .. كان للجدار مقعرا .. فلا بد أننى
حفرته أكثر كي يزداد تقعرا ، ثم وضعت ما أريد فيه
وغطيته بطبقة من الأسمنت .. وهذا يفسر اتباع الجدار
الآن فى هذا الموضع بالذات ..

هكذا بدأت أدق .. أدق مهشما طبقة رقيقة من الأسمنت
المنبوع ..

إنه هس بالفعل .. لو أخذت رأيى لقلت إن هذا ليس عمل
محترف على الإطلاق ..

بدأت ثغرة بحجم كفى تتسع .. قربت رأسى أكثر ..

أضأت الكشاف وأنا للهث ..

السعاع يسقط على الفجوة المصنوعة بالداخل ..

يا للظلال ! بصعوبة أفهم ما أنظر إليه .. هذا رأس ..
رأس امرأة يغطيه الشعر .. لحسن حظى أنه مغطى بالشعر

وأنها لا تنظر نحوى .. أعرف هذا الرأس .. أذكره ..
عشيقته .. حلمت به كثيرا جدا ..

أطلقت شهقة ثم ارتيمت على الأرض ..

هل فقت الوعي ؟ أرجو أن يكون هذا حدث وإلا فلنا
صنم بلا مشاعر ..

قضى الأمر ..

انتهت الأسئلة وانتهت الحيرة ولم يبق إلا يقين مريع ..

(علاء عبد العظيم) الطبيب الشاب المرموق ولب المستقبل ،
قد تحول إلى غول ينقب عن العذاب البشرى والموت والدماء ..
لقد كان أبوها بعيد النظر حقا حين توقع أنه لا مستقبل لى
على الإطلاق .. وأنت يا (برنادت) .. ترى كيف تفهمين
الأمر ؟؟ مهما كانت درجة تفهمك وتسامحك فلنا بحاجة إلى
زوجة خليط من (غاندى) و (شكسبير) و (فريد) وخالتى
ولمى كى تجد مبررا لهذا الذى قمت به ..

فقط ادعوا لله أن يحضروا لى محاميا أحق بجهل كل
شيء عن أصول مهنته ، وبهذا ألقى عقابى الحق ..

صفحات من مذكرات د. (برنات جونز) :

السبت ١ يونيو :

مفكرتى العزيزة ..

لا أعرف .. لم أتصور نفسي يوماً من طراز الفتيات اللاتي يعقسن شعرهن بشريط حريري ، ويرقدن على الفراش مطوحيات بأقدامهن مفكرات في السطر التالي الذي يكتبه لمفكرتهن العزيزة .. لكن الأمر وقع على كل حال !

الحقيقة أنني أرغب في مكان ما وشخص ما لفضي له بكل الأسرار المعتمة داخل .. الحقيقة هي أن (علاء) يتغير . لا أستطيع فهمه ، وأشعر لحيناً بأنه شخص عجيب .. هذه أشياء لا توصف ولا يمكن وضعها في كلمات ، لكنها تلك النظرة الغريبة المتباعدة التي عاد بها من (كليمنجارو) .. ثمة مساحة معينة من القسوة في عينيه .. هذه النظرة تزداد الآن وهو لا يعبأ بي ولا بأحد من أهله .. إنه عبد لفكرة ما تسيطر عليه ..

حقاً لا أستطيع فهمه . ماذا يبقى خارج البيت طيلة اليوم والمفترض أن أيا من هنا معدودة ؟ صرت لا أراه إلا في المساء ، وهو دائماً منك غامض لا يريد إلا النوم ..

ولحظة أخرى ؟ لست هذه هي الحقيقة .. فهذا على الأقل سبب يمكن علاجه أو منقشته .. شيء أَرْضَى تمنناً .. أما ما أشعر به من نظرات (علاء) فهو شيء لا يمت لعالمنا بصلية .. وأعترف بأنني شعرت بشيء كهذا حين كان في (كليمنجارو) ..

لو كنت فعلاً أملك تلك القوة النفسية (القياس النفسي Psychometry) التي حسبت أنني أملكها لعرفت ما يجري هنا ، لكني بالفعل كفتت عن الاعتقاد في امتلاكى لها .. ولو كنت أملكها فإن الحمل قد قضى عليها ..

والحمل ! إني لست على ما يرام ..

كل بقع الدم هذه مع آلام أسفل الظهر .. يبدو أنني بصدد (إجهاض منذر) .. لكني لن أزعجهم هنا ، والأمر عسير على كل حال مادام (علاء) ليس موجوداً معي .. سيفهم أهله أنني أريد كوباً من الماء ، لا طبيب أمراض نسائية . سأحاول أن أقل من تحركاتي قدر الإمكان .. وهذا عسير مع كل هؤلاء الضيوف في البيت ..

هذا المساء عاد (علاء) إلى الدار وكان أخوه وزوجته عندنا .. جاءت مكالمة مبهمّة فنهض ليتكلم .. طالت المكالمة جداً ، وأعتقد أنه كان مرتبكاً بحق .. لو كانت هذه امرأة فلسوف أكون سعيدة راضية .. على الأقل هناك تفسير مريح لكل الذي يحدث ..

الأحد ٢ يونيو :

الدم مستمر .. هل يتحول (الإجهاض للمنذر) إلى
(إجهاض إجباري) ؟

الأمر يحتاج إلى رأى ثان ، لكن (علاء) - ذلك الشيطان
القص - ليس موجوداً في حيتي .. بالواقع لم يعد له وجود في
حياة أى شخص يعرفه .. ألمه تتساعل عن السبب ، لكن إصبع
الانتهام يشير لى كما هو واضح من لغة النظرات العالمية ..

لماذا يترك الرجل بيته إلا ليفر من زوجته ؟

هناك صديقه المدعو (أبو سيف) .. (مختار أبو سيف) ..
معى رقم هاتفه .. إنه الشخص الوحيد الذى أعرفه هنا ويجيد
الفرنسية والعربية معاً ، لكن من الغريب نوعاً أن يكون موضوع
للقنا التلى هو حاجتى إلى من يصحبنى لطبيب لمرضى نسائية .
دعك من أن هذا سيسبب الكثير من الحرج لـ (علاء) ..

كلا .. من الخير أن أصمت وأبتلع ما يحدث .

سأكون بخير ..

أعرف هذا .. سأقاتل كى يصير حقيقة ..

الاثنين ٣ يونيو :

للأسف لا تكفى قوة الإرادة وحدها لوقف النزف .. يحتاج
هذا إلى أحد معلمى اليوجا .. لكن الأمر يزداد سوءاً ..

وفى السادسة مساء دخلت الحمام ومكنت فيه بعض
الوقت .. سيحزن (علاء) كثيراً لو فقدت هذا الحمل .. لكن
لا .. من قال إنه يبالي به أصلاً ؟ كان خائفاً من مشكلة
الأبوة فى بلد غريب .. هذا شيء أفهمه وأقدره .. لكن
المشكلة الآن أنه لا يبالي بالأمر على الإطلاق .. أنا مجرد
فتاة شقراء موجودة بشكل ما فى داره ..

نهضت لأغسل وجهى ، وهنا شعرت بأن مركز إبصارى
بقعة سوداء .. وقدمائى لم تعودا ملكى .. إن قانون الجاذبية
أقوى من الجميع يا فتاة فلا تحاولى ..

إنه يسقط التفاح فوق رأس (نيوتن Newton) .. ويفر
الأرض بالمطر ، ويجعل الطبييات الكنديات يسمطن على
أرض الحمام ..

وسمعت صوت من يطرق الباب بالخارج .. نسيت أن

أقول إنه في هذا البيت العتيق لا يعتمد الحمام على
المزلاج .. يعتمد على التفاهم العام بين أفراد الأسرة ..
هناك أحدهم بالداخل فلا تدخلوا ..

هكذا سمعت من بطرق الباب .. يبدو أن الفترة طالت ، ثم
انفتح الباب .. لا أعرف من دخل .. على الأرجح زوجة أخي
(علاء) وأخوه .. وشعرت بأنني أحمل حملاً إلى الفراش ..
أنا أفضل حالاً بالتأكد .. لا تقلقوا .. إنهم طيبون فعلاً
ملتهبو العاطفة هنا ..

الزوجة تجفف عرقى البارد بمنشفة ، وأم (علاء) التي
جاءت من مكان ما دون أن ترى شيئاً أعدت لي كوباً من
عصير الليمون البارد .. بينما الزوج يمسك بالهاتف ويطلب
عدة أرقام في هستيريا ..

بعد قليل ظهرت تلك السيدة المحجبة التي تحمل ملامح
الطب التي لا يمكن الخطأ فيها .. هاتان العينان الفاحصتان
المتعبتان اللتان لن يدهشهما شيء ..

أجرت فحصاً سريعاً لي فسألتها السؤال الأهم بهنجليزيتي
الكسيحة :

- « هل فقدته ؟ »

قالت بهنجليزية ليست أحسن حالاً :

- « لا .. هذا إجهاض منذر .. سأحقق ببعض الهرمونات
إلى أن تتمكني من إجراء فحص بالموجات الصوتية .. »

- « وهل أحتاج إلى دم ؟ »

- « لا أعتقد ذلك .. سأصف لك بعض الحديد بالفم .. »

وهكذا أخذت العلاج لكني لم أشعر بأنني أفضل حالاً ..

في السابعة مساءً جاء (علاء) .. وسمعتهم يحكون له
التفاصيل من الخارج ..

أخيراً جاء .. لا أقبل حقيقة أنه كان متغيّباً بلا عذر ..
ماذا دهاه ؟ لماذا تغير ؟

لست ممن يذمنون الرثاء للنفس ، لكني لم أستطع
المقاومة أكثر ورحت أتنبه في الظلام ..

بعد قليل دخل الغرفة المظلمة ، واتجه كالعادة ليتسنى
خزانة الثياب ليضع مامعه من أوراق في ذلك الرف
العالي .. هذا هو أول ما يفعله حين يعود إلى الدار ، وأنا
لست فضولية ، لكني الآن أتساعل بحق ..

تعالى صوت بكائي فكان أول ما حياه .. عيناى اعتادتنا

الظلام لهذا رأيته ورأيت الحقيقة التي وضعها جوار الفراش .. لكنه انتظر كثيرًا حتى يعرف أين أنا ..

جلس جوارى وتحسس معصمى فى رفق .. وهمس :

- « (برنات) .. أنت فى حال سيئة .. إن يدك باردتان

كالثجج .. »

لم أرد وواصلت البكاء .. بكاء المرأة الذى يشبه اتيهيار السدود فلا ينتهى إلا حين ينتهى ، ولا توجد قوة فى الأرض تستطيع منعه إلا جفاف الدموع ..

- « (برنات) .. أنت .. أنت تتعذبين ؟ هل تتألمين ؟ »

لم أرد وواصلت البكاء فى صمت ..

- « (برنات) .. هل تتألمين ؟ هل تشعرين بدنو النهاية ؟ »

قالها فى شىء من اللهفة .. ما هذا ؟ هل جن ؟ آخر ما يقال لمريض على الفراش هو : هل تشعر بدنو النهاية ؟ ثم ما سر هذه اللهفة ؟ لم كل هذا التوتر ؟

أغمضت عيني .. وقررت أن أنام .. ربما للأبد لو كنت حسنة الحظ ..

هنا شعرت بشىء غريب يثبت إلى نراعى ..

كان - المخبول - يثبت إلى كاحلى ومساعدى قيودًا تشبه تلك المستخدمة فى جهاز تخطيط القلب .. ما معنى هذا ؟ كان يلهث كالمجنون ويقول وفمه مقلق :

- « صبرًا .. إن هى إلا لحظات .. لصبرى يا عزيزتى !! »

ما هذا ؟ هل جن الجميع ؟

نهضت واثبة من الفراش برغم آلامى وانتزعت هذه القيود ، وركلتها ، فراح يجمع الأسلاك فى هستيريا كى لا تتبعثر .. كل هذا على الضوء الخافت القادم من الصالة ..

- « هل تجرى على تجربة ما ؟ هل جنت ؟ »

طبعًا هى تجربة .. يذكرنى هذا بذلك الهلجيكى الوغد - هل كان اسمه (دوبون) ؟ - حين راح يسجل لحظات الألم الشنيع لصبى إفريقياى محترق ، فقط كى يضم عاطفة قوية إلى مكتبته الخاصة .. يومها أوسعته (علاء) ضربًا وكاد يطرد من (سفارى) . لكن هذا كان (علاء) أعرفه وأفهمه .. لما (علاء) هذا فهو يفعل نفس ما فعله (دوبون) ربما بشكل لقطع ..

(دوبون) لم يجر هذه التجربة على زوجته الحبلى !

- « أنت جنت !! »

هنا بدا لي وقد تراجع قليلاً ..

طرقات على الباب .. لقد سمعوا صرخاتي بالفرنسية :

- « هل هناك مشكلة يا (علاء) ؟ »

قال بصوت مبجوح شيئاً ما بالعربية ، فزال الطريق ..
ودفن وجهه بين كفيه ..

كان يبكي ..

قلت له وأنا لرتجف غضباً :

- « (علاء) ! أنا لا أعرف مادهاك .. لقد صرت وغداً
لا يبالي بأحد .. ثم ولعك بروية الألم .. أرى عينيك تتابعان
نشرات الأخبار في شغف .. تتحرق شوقاً لترى هؤلاء الذين
احترقوا أو جرحوا في الحروب والكوارث .. »

وأخذت شهيقاً عميقاً كي لا أفقد وعيى .. هل علاء
النفز ؟ لا بهم ..

- « كنت تتحرق شوقاً لتكون جوار أمك .. ثم هاهى ذى ..
أنت لا تراها تقريباً .. ومن يضمن لك أن تكون حية في
إجازتنا القادمة ؟ كنت متديناً لكنى منذ جننا هنا لم أرك
تتعب مرة واحدة .. أنت تغيرت كثيراً جداً حتى إننى لأعتقد
أنك ممسوس أو تحت استحواف ما .. »

ووضعت أناملى تحت نكته وسألته بهدوء :

- « هل لديك ما تقول ؟ »

نظر لى طويلاً ، وفي عينيه تلك النظرة التي تراها في
عيون المجرمين على صفحات المجلات .. ثم قال :

- « ليس لدى ما يقال .. »

وجمع أسلاكه وحقييته وغادر الغرفة .. وعرفت أنه
غادر الدار ذاتها ..

ما إن انصرف حتى اتجهت إلى خزانة الثياب .. تسلفت
إلى أن بلغت الرف العلوى .. قدماى ترتجفان .. إننى ..
أى !!

افتتح الباب ودخل أخو (علاء) ليجدنى على الأرض
أكلوه .. هتف وهو يعينى على النهوض بشيء ما بالعربية ..
يلومنى على الأرجح على أننى غادرت الفراش ، فأشرت له
بيد ترتجف إلى الرف العلوى وقلت فى حزم بالإنجليزية :

- « أوراق .. أوراق .. »

قال شيئاً ما ، ثم وثب على الإفريز ، وتناول الملف
الخاص بـ (علاء) وجلبه لى .. أعتقد أنه حسب الأوراق

تخصني .. ثم وجد شيئاً آخر .. مجموعة من الخطابات ..
نظر لها وابتسم ثم نسها في جيبه^(*) ..

ابتسمت له شاكراً ، فحياتي وغادر المكان ..

أخيراً أمسك الأوراق بين يدي . أكره أن أفعل ، هذا لكني
مرغمة عليه .. لا يوجد الكثير على كل حال .. هناك
مذكرات بالعربية يبدو من التاريخ أنها تقع في هذه الأيام
بالذات ، ونعل (علاء) كان يكتبها في أثناء نومي كما أفعل
أنا هذه الأيام .. وهناك خطاب طويل بالفرنسية .. يبدأ
بالكلمات التالية :

- « إلى الطبيب الشاب الذي سيقراً هذه الأوراق : »

وينتهي بالكلمات التالية :

- « سامحني على ما قمت به .. وأتمنى لك حظاً سعيداً
في تجاربك القادمة .. »

بإخلاص ارنست كومارسكي

قرأت الخطاب في تركيز .. وبدأت أشعر بحلقى يجف ..

هل هذا هو تفسير ما يحدث لـ (علاء) الآن ؟ ما زال

(*) ملحوظة . اعتقد أن (علاء) وجد خطبت (مى) التي أخفاها

(علاء) عنه منذ نحو عشرين عاماً !!

(كومارسكى) يمارس تأثيره الضار بعد هذه الأعولم كلها ..
بل إن (علاء) حملته معه إلى (مصر) ..

ماذا في هذه المذكرات ؟ لا بد من أن أعرف

اتجهت إلى الهاتف وطلبت الرقم الذي أعرفه .. (مختار
أبو سيف) .. يجب أن يترجم لى ما تحتويه هذه الأوراق ..

كانت العاشرة والنصف مساء ونحن جالسان في
الصالون .. حين فرغ من قراءة هذه الأوراق .. ترجم لى
محتواها إلى الفرنسية ببراعة .. إن (مختار) من ذلك
الطراز الذي ينطق وجهه بالذكاء وسوء الحظ معاً ، وثمة
لمحة معينة من المرارة تراها من حين لآخر في اضطراب
ركن فمه حين ينسى أن يضحك .. وفي هذه المرة كان
ينسى كثيراً أن يضحك ..

كان البيت خالياً إلا من الأم التي جلست في الصالون
على سبيل الترحيب بصديق (علاء) .. لعلها كانت تحمل
ألف سؤال وسؤال ، ويبدو أنه قال لها إننى طلبته لحل
خلاف جوهرى بينى وبين (علاء) .. لم تكن تلهم شيئاً
و (علاء) لم يكن موجوداً ليفسر لها ..

فقط هي فوجنت بـ (مختار) وأتى إلى البيت في العاشرة مساءً ، وأنا أقابله حاملة مجموعة من الأوراق .. واضح أن سلوكنا مريب فعلاً .. لكنها على الأقل كانت تعرف أن (علاء) يمر بمشكلة ما ، وأنه صار غريب الأطوار ، وأتينا تشاجرنا هذه الليلة وبعدها انصرف (علاء) ولم يعد حتى هذه اللحظة ..

قال (مختار) بعد أن فرغ من القراءة ومحاولة الاستيعاب :

- « نعم .. الإثنين .. ٣ يونيو .. هذا آخر شيء كتب هنا .. هنا تنتهي المذكرات اليوم بالذات .. واضح أنه كتبها في ذلك المختبر ثم عاد بها إلى الدار .. أعرف ما تريدني قوله .. كلانا لانهب كثيراً ما نسمعه .. الأمر غريب جداً لكن علينا قبول الحقيقة . »

كانت الحقائق المرعبة التي استخلصناها من مذكرات (علاء) هي :

١ - لم يكن (كومارسكى) يمزح .. لقد حل هذا الشيء بـ (علاء) فعلاً ..

٢ - (علاء) قد أعد كل شيء كي تعود أبحاث (كومارسكى) للحياة ، بل بدأ التطبيق !

٣ - هناك فتاة مهنددة هي تلك البائسة (نسرين) .. ربما كنت لأتعاطف معها أقل لو كان يحمل أنثى ميل نحوها ، لكن من الواضح أنه يخدعها لا أكثر .. آخر كلماته تحدد لنا بالضبط ما سيكون ..

٤ - من الواضح أنه لم يفقد إنسانيته بعد .. هو يقاوم ما حل به كأي مريض عصاب .. لكن الشيء أقوى منه .. بدا هذا واضحاً الليلة .. لو كان يسيطر على الظاهرة لما فعل ما فعل .. ولو كانت الظاهرة تسيطر عليه لأصر على أن يكمل ما بدأه معي .. هذا يذكرني بالفيروسات التي تغزو البدن .. قد تكون مناعة الجسد عالية تبديد الفيروس ، وقد تكون واهنة فلا يحدث شيء ويظل المريض يحمل الفيروس كحامل عدوى للأبد .. أما أن تتساوى مناعة الجسم مع شراسة الفيروس .. عندها يكون الالتهاب العنيف المدمر ..

أمسك (مختار) بورقة مكتوبة بالعربية وجدها بين الأوراق ، وقال :

- « هذا عقد الشقة المفروشة .. يمكن القول إننا نعرف أين يذهب الآن .. »

قلت له :

- « والحل للصائب ؟ »

قال وهو يتأمل الأوراق :

- « سألتني به الآن هناك .. في الغالب هو هناك .. سأعرف كيف أمنعه .. أرجو أن تعيدى المذكرات لمكانها بدقة . هذا يضمن لنا أن نعرف ما سيحدث وليس ما حدث فحسب »

ثم ضاقت عيناه في شرود وقال :

- « لا أعرف إن كان هناك تفسير مادي لهذا الذي يجري له ، ولا أدري إن كان من الصواب تجربة سبل مادية مع شيء ميتافيزيقي .. لكنني سأحاول .. سأراهن على أن موجات دماغية غريبة تسيطر عليه ، وأعتقد أن العلاج بالصدمات الكهربائية ECT قد ينجح في إعادة أيونات دماغه إلى توزيعها الطبيعي .. »

- « صدمات كهربية ؟ وكيف ؟ »

- « دعي الأمر لي ، فالجهاز معي في السيارة .. لكنني أريد منك أن تبقى جوار الهاتف .. أعتقد أنني سأحتاج إليك هذه الليلة خاصة لو تصرفت وحدي .. »

لم أدر ما أقول .. أنا مريضة منهكة نذفت دما كثيرا ، لكن رغبتي في الاحتفاظ بمن أحب جعلتني قادرة على التماسك .. سأقاوم .. وغدا سأكون أفضل ..

بعد ساعة ونصف دقي جرس الهاتف .. رفعت السماعة في لهفة ، فسمعت صوت د . (مختار) يقول :

- « قتهى الأمر ! به معي ! هل تستطيعين النزول الآن ؟ » ووضع السماعة قبل أن يسمع ردي ..

كل هذا شبه مستحيل .. لكن لم لا ؟ لا أحد في الدار سوى ولم (علاء) ، وعلى قدر علمي هي تغط في النوم الآن .. ثم إنني فتاة رشيدة ولن يمنعي أحد من مغادرة الدار ، خاصة وأن زوجي ينتظر بالخارج .. لن يقيد أحد هريتي ..

ثمة منع واحد هو أنني في أسوأ حال وقمائي علجتان عن حملي ، لكنني تماسكت .. أستطيع عمل هذا .. سوف أنجح ..

ارتديت ثيابي وأخذت حقيقتي ، وبرفق عالجت الباب .. أعتقد أن أذنني السيدة لم تعودا على ما يرام ، بسبب تصلب العظام والسن .. وحتى لو لم يكن الأمر كذلك فلن يمنعي أحد من النزول .. لقد صرت غير قابلة للإيقاف ..

ونزلت في الدرج ببطء : كي لا يعاودني النزف ..

أخيرا وقفت في الهواء لطلق شاعرة بقطرات العرق البارد تحسدا على جبينى ، لكنني كذلك كنت أشعر بحاجتى إلى الهواء ..

سيارة تقف أمام المدخل ، وأوارها مظفأة لكنى أرى
الباب مفتوحاً وجواره د . (مختار) .. وفى المقعد الخلفى
لمحت ظلاً ما يرجع رأسه للخلف ..

بنوت من السيارة أكثر . إن لم يكن هذا هو (علاء)
نفسه

صحت وأنا أنظر من النافذة الخلفية :

- « (علاء) ! ماذا دهالك ؟ »

نظر لى بعينين لا تريان .. عينين بلون الدم .. ثم أغلق
عينيه كأنما يعود لغيوبة ..

قال لى د . (مختار) وهو يستند إلى الباب ويشعل لفافة
تبغ :

- « لا تقلقى .. لقد أفاق من فوره من جرعة (كيتالار)
مخدرة ، وجلسة كهربية .. كيف تحسبينا نجرى الصدمات
الكهربية ؟ على شخص واع متيقظ ؟ »

وقفت أرتجف غير فاهمة ، فقال لى :

- « كان على وشك إنجاز مهمته ! »

فتحت عيني غير فاهمة ، فقال فى صبر :

- « الفتاة كانت عنده فى الشقة التى استأجرها وكانت
مقيدة مكعبة .. أعتقد أنه قابلها بعد ما انتهت ساعات
عملها ، واستدرجها بشكل ما إلى المختبر .. كانت هناك
عدة أسياخ وإبر .. وموقد صغير .. أعتقد أنه كان على
وشك البدء فى استخلاص الظاهرة .. وكانت الفتاة مربوطة
بالأسلاك التى تتصل بجهاز صغير .. حاول منعى من دخول
الشقة لكنى دخلت ، ورأيت المشهد .. هناك كان قد تحول
إلى وحش حقيقى .. انقض على وراح يعتصر عنقى .
للقاتى أرضاً .. إن (علاء) ليس ضعيفاً فإذا أضفنا لهذا
قوة الجنون لكنت النتيجة مرعبة .. شعرت بأثنى »

وكشف عن عنقه .. وبرغم الظلام استطعت أن أرى
السمجات والكدمات الحمراء على منبته ..

- « شعرت بأثنى أغيب عن العالم .. ولا أعرف كيف
مددت يدي إلى جيبى وأخرجت المحقن وغرسته فى كتفه .. »
والقى بلفافة تبغه .. ثم أشعل أخرى بيد ترتجف ..

نظرت له محتجة لكنى كنت أضعف من أن أتكلم .. قال :

- « غاب عن الوعي فقامت بإحضار جهاز الصدمات

الكهربية من السيارة .. إنه خفيف للوزن كما تعلمين ، أقرب
إلى صندوق خشبي صغير .. قمت بكل شيء وحدي .. وفي
النهاية مررت التيار في رأسه .. لا أعرف ما حدث .. لكنني
أعتقد أنه هداً قليلاً .. لو كان بوسعنا أن نجري له تخطيطاً
دماغياً قبل وبعد الصدمة ، فلا شك أننا سنجد نتيجة
واضحة .. بمجرد أن أفاق ساعدته على النزول ليرقد في
المقعـد الخلفي للسيارة »

ثم ابتسم ابتسامة صفراء في الظلام ، وقال :

- « وما نحن أولاء ! »

برغم أننا أقرب إلى الصيف منا إلى الربيع ، فلبتني
شعرت بأن البرد ينخر عظامي .. سألته وأنا أعقد ذراعي
حول جسدي :

- « حسن .. والفتاة ؟ »

- « حيث هي ! لا أعرف الحل الصائب .. لكنني أضمن لك
شيئاً واحداً .. لو أطلقنا سراحها لمألت الدنيا صراخاً ..
أعتقد أن علينا أن نقرر غذاً ما سنقوله لها .. »

- « هل تجد لديك من القسوة ما يسمح لك بتركها وحدها
في ذلك البيت للرهب ؟ »

- « بمقدار ما لديك من القسوة التي سترسل (علاء)
إلى السجن ، أو المصححة العقلية .. »

الحق أن الموقف بدا لي بلا فكاك .. (علاء) مريض
ولا يستحق ما سيحدث له .. لكن الفتاة ..

- « اتركني لي الأمر وسأعرف كيف أديره .. »

ثم ألقى بلفافة التبغ وأشعل أخرى .. تمنيت أن يظل حياً
إلى أن نتفق على سياسة ما .. قال :

- « النقطة الأخرى هي أنني أخشى أن يبق (علاء)
ليبتكر كل شيء أو يأتي برد فعل مما نسميه Rebound
أو تفاعل الارتداد .. لا أعرف ما قد يحدث له غذاً ، لكنني أوصي
أن يبقى بعيداً عنا .. لربما نسي كل شيء عما حدث له ..
ولربما تخلص من هذه الظاهرة فعلاً .. »

قلت في سرودي :

- « فندق ! »

- « نعم .. سيقضي القد كله وحيداً في فندق بعيداً عن
الأحداث .. وإني لأعتقد أن صدمة الإفاقة في مكان غريب
قد تلعب دوراً في الشفاء .. »

- « وهل حالته تسمح بالبقاء وحيداً ؟ »

- « هو ليس مريضاً .. عقله هو المريض وقد بدأ

عملية الشفاء .. »

ثم بحث في جيبه وقال بحرج :

- « لا أملك ما لا يكفي الآن فلربما .. »

قلت له وأنا أفكر فيما قال :

- « إن (علاء) يحمل بطاقة الائتمان دوماً فلا تخش

شيئاً .. »

- « إذن فلنسرع .. كلما أفاق ونحن لسنا معه كلما كان

هذا أفضل .. »

وأضاف وهو يستقل السيارة :

- « أو هذا ما أرجوه .. »

وبدون كلمة أخرى درت لأركب في السيارة جوار (علاء) ..

وانطلقنا في ظلام الليل متجهين إلى وسط القاهرة ..

مر (مختار) على داره ولخفتي لبقائي ، ثم جاء بحقيبة ،

يسود فيه وضع فيها بعض المستلزمات لـ (علاء) .. ربما منامة

وما إلى ذلك ..

كان (علاء) قد بدأ يفيق ، وراح يهذى بكلام لا تفهم

أوله من آخره .. ثم نظر لى وتساءل في توتر :

- « إلى أين نحن ذاهبان ؟ »

قلت بنهجة لا أثر فيها لأي انفعال وكأني أخاطب

رضيحي :

- « إلى الفندق .. كما تعلم .. نحن نترهنا والآن نعود

إلى الفندق .. »

هز رأسه في فهم وقد اتسعت عيناه تقديرًا لأهمية هذه

المعلومة ، وكأنما أهديته سر الكون ، ثم أغمض عينيه

وواصل النوم ..

كل هذا من (كليمنجارو) ! أنا الحمقاء التي نصحت به أن

يجرب .. كان مترددًا .. لكنني أصررت واخترت له مصيرًا

أسوأ من الموت بكثير .. للمرة الأولى يا (علاء) أتمنى لو

أنت لم تعد .. كنت ستلقى نهاية أكثر شرفاً من هذه .. نهاية

لا بد أنك كنت تفضلها وتشتتها ..

وتدافع الدم إلى غدي فمنخري فرحت أنهاتف في ظلام

السيارة ، وسمعت (مختار) يقول من المقعد الأمامي :

- « تماسكي بقله عليك .. سوف نشر ريبة موظفي الفندق ' »

مدت يدي في الحقيبة وأخرجت نظرتي للسوداء التي قلما
أرتديها .. لا أعرف لها نفعا إلا إخفاء العيون المتورمة
المحمرة الدامعة .. نظارة سوداء في الليل .. يقولون إنني
امرأة غريبة الأطوار .. هذا خير من امرأة تبكي ..

اجتزنا مدخل الفندق ، وكان موظف الاستقبال يكلمنا
وعيناه ثابتتان على (علاء) !! إنه واع لكنه لا يتفاعل
ولا يتكلم .. فيما بعد عرفت أن (مختار) أفهم الموظف أن
(علاء) ثمل .. وأنا نرغب في أن يجد غرفة هنا حتى
لا تحدث شوشرة .. ومد يده وأخرج من جيب (علاء)
أوراقه ..

جاء خادم الغرف ، فصعدنا معه حتى الغرفة التي
وجدناها .. نقده (مختار) (بقشيشا) طينا مقابل أن يلبس كل
ما يطلبه ساكن الغرفة ، وألا يزعجه أو يسمح لأحد
بإزعاجه .. وتأكدنا من وضع لافتة (لا ترعجنى) معلقة من
مقبض الباب بالخارج ..

قال (مختار) وهو يتنفس الصعداء :

« سألوك للبيت الآن .. ولرجو أن يعود (علاء) إلى

بيته وإلى حقيقته .. »

« هل يحدث هذا غدا ؟ أعني (اليوم) فقد بدأ فعلاً .. »

« ربما .. لكنه مرهق .. مرهق إلى حد أنه قد يمضي

اليوم كله في الفراش .. أعتقد أنه سيعود يوم الأربعاء ..

وإن لم يعد سأتى هنا لأعده بنفسى .. »

ثم نظرت لي وابتمسم :

« لا تقلقى .. إنه لم يفقد كل ذاكرته .. سينسى تجاربه

فقط .. لكنه لن ينسى من هي امرأته وأين بيته .. »

« أتمنى ذلك .. »



الثلاثاء ٤ يونيو :

أنا الآن أكتب هذه الكلمات ، منهيّة أحداث يوم طويل ..
ترددت طويلاً قبل أن أقرر هل هذه الأحداث تقع في نطاق
الإثنين أم الثلاثاء .. نميل إلى اعتبار أن يومنا الفسيولوجي
هو الساعات التي تبقى فيها يقظين .. في النهاية قررت أن
تتصر الجغرافيا ، وأن أعترف بأنني في يوم الثلاثاء ..

سأستريح اليوم . لن أفعل أي شيء سوى الرقاد في
الفراش ، عازمة على أن أستجمع قواي ، كي أواجه
ما يجب أن أواجهه !

أعدت الأوراق إلى الخزانة .. كلها تقريباً ، لأنني لم أجد
تلك الأوراق المكتوبة بالبولندية .. كانت في الملف حين
عرضتها على د . (مختار) .. لا أريد أن يلاحظ (علاء)
اختفاء شيء يحدث عنه .. سأطلب من (مختار) غداً
إعادتها لي ..

من المريع أن (علاء) كان يأخذها معه في الصباح كل
يوم ، ويعيدها لموضعها في المساء .. هل هو الحذر ؟

لا .. بل الأمر أشنع من هذا .. كما يفعل البخيل الذي
يكره أن يترك ماله في المصرف بعد ساعات الإغلاق .. من
ثم يسحب ماله يومياً كي ينام معه !!

يا له من يوم ! اكتظ بالناس ، والكل يبحث عن
(علاء) .. لماذا لم يعد أمس ؟ تشاجر معي ثم غادر البيت
غاضباً .. ماذا كان موضوع المشاجرة ؟ لم يفهموا لأنها
كانت بالفرنسية ..

أرى الشك في عيونهم ، وربما بعض الكراهية ..
الشيطنات الأجنبية التي جاءت لتجعل حياة ابنهم جحيماً .
والأسوأ أنها لا تفهم الشتائم العربية ولا اللوم بالعربية ..

لا ألومهم على شيء .. الموقف لا يحتمل تفسيراً آخر ..
مكالمات هاتفية .. صديقه (أشرف) يأتي وينصرف ..
لو كان لموقفى هذا مزية ما ، فهي أنهم يعتبرونه غاضباً
هجر البيت ، ولا يعتبرونه قد أصيب بضرر على الأرجح ..

الأربعاء ٥ يونيو :

من الناحية الصحية اعتقد أنني أفضل بمراحل .. إن راحة يوم كامل في الفراش مع الطعام المغذي قد أفادتني بحق .. إنهم يعنون بي جيداً هنا ، لكنهم لا يكونون لي حياً عارماً خاصة بعد ما حدث ..

ثمة خبر مثير بحق .. لقد عاد (علاء) وكان القلق قد بدأ يعتصرني .. طلبت الفندق مرتين أمس ثم عدلت عن الكلام بمجرد ما كنت السماع ترفع في غرفته .. على الأقل هو هناك ..

الآن عاد .. لكنني لم أستطع أن أفصح عن شيء .. قبلته في فتور ، لكن البكاء غلبني .. توليت في الغرفة الداخلية شاعرة بالغث من نفسي .. أوشك هذه الأيام أن تحول إلى صنوبر مياه ..

بالنسبة لأهله كان اللقاء عاصفاً .. لا أعرف ما قيل بالضبط لكنه يحوى الكثير من اللوم والصراخ ..

كل أبناء البحر الأبيض المتوسط لا يدخرون في ارتفاع الصوت وحركات اليد ، وقديماً قيل إنه لو جاء مريخي من الفضاء ، ورأى الإيطاليين يتكلمون لحسب أن الإيطاليين صم وأن الإيطالية لغة إشارة ..

كل أبناء البحر الأبيض المتوسط لا يدخرون في ارتفاع

الصوت وحركات اليد ، وقديماً قيل إنه لو جاء مريخي من الفضاء ، ورأى الإيطاليين يتكلمون لحسب أن الإيطاليين صم ، وأن الإيطالية لغة إشارة ..

شيء واحد اعتقد أنني متأكدة منه .. هم لم يخبروه بموضوع مجيء (مختار) ليلاً وتزولي في ساعة متأخرة - لو كنت أله للعجز لاحظت ذلك - ولعلهم يحاولون ألا يزيدوا تعقيد الأمور المعقدة أصلاً ..

في النهاية جاء (علاء) .. وكنت جالسة على الفراش أحاول أن أقرأ مجلة طبية .. عواطف متناقضة بين أن أرتمي على صدره وأعترف بكل شيء .. أو أبكي فرحاً بعونه .. أو أظهار بالبرود .. وقررت أن لعب الدور الأخير .

ومن الغريب أنه طلب مني أن ننتزه في القاهرة القديمة .. أغرب فكرة تخطر له في هذه الظروف بالذات ، وإن كنت قد راقت لي . يجب أن نمشي معاً .. نتبادل حديثاً طويلاً معاً .. يجب أن أعرف إن كان بقي لديه شيء من تلك الظاهرة اللعينة ..

وفي المساء كنت أشعر بأنني استعدته .. لقد بدأ بصير هو .. والغريب أنه لم يبد على علم على الإطلاق بمشادة المساء المشهود ، وقصة إجهاض المنذر .. كأن هذه اللحظات محيت من ذاكرته تماماً ..

هل الدكتور (مختار) عبقري أم محظوظ أم أنا حمقاء ؟
سوف يعطى الزمن الإجابة الصحيحة ..

الخميس ٦ يونيو :

أتحسّن بلا شك .. لقد عاد لوجهي لونه الآدمي بعد ما كان قد قرر أن يتحول إلى ثمرة ليمون ..

ولكن حدث شيء سخيف اليوم .. (علاء) قرر أن يذهب إلى (حلوان) !

وأنا أعرف ما يفعله في (حلوان) .. هل كنت واهمة ؟ هل الأمر أجمل من أن يكون حقيقة ؟

افترحت أن أذهب معه ، لكنه رفض بشكل قاطع ..

اتصلت بالدكتور (مختار) .. هذا الرجل لم يعد يرد على الهاتف على الإطلاق .. أعتقد أنه يرى رقم هاتفى عنده ، فيوقن من أن مكالمتى لن تجلب إلا المزيد من المتاعب .. وكالعادة لا ألومه على ذلك ..

لا يوجد شيء أفعله .. سأنتظر عودة (علاء) ..

من يدري ؟ ربما أصرّحه بكل شيء ..

الجمعة ٧ يونيو :

ما زال النقيضان : أنا لتحسن و (علاء) يتدهور .. وما زال (مختار) لا يرد ..

ماذا يحدث هاهنا ؟؟؟

(علاء) يفقد البيت كثيرًا هذه الأيام فماذا دهاه ؟ هل عاودته حالة الاستحواذ هذه ؟ أحيانًا أحسبه شفى كأنما لم يمرض قط ، وأحيانًا أجده مريضًا كأنما لم يكن لى فى يوم من الأيام ..

ماذا يدور فى ذهنه ؟

أعتقد أنه مستمر فى تدوين مذكراته ، لكننى لا أجد للشجاعة الكافية كي أخذها من جديد ، دعك من أنه ليس هناك من يترجمها لى .. إن مترجمى الوحيد لا يرد على الهاتف ..

السبت ٨ يونيو :

عاد (علاء) اليوم مثخناً بالجراح ..

الجراح النفسية ما أعنى .. وليتها كانت جسدية .. إن الأخيرة تبرا على كل حال ..

جلس بدون مذكراته بعض الوقت .. استغرق الكثير من الوقت فى الواقع كأنما يحكى ذكرياته منذ تلقى صدمة الولادة الأولى .. ويبدو أننا سنتحول مع الوقت إلى أديبين عظيمين ..

هذه العطلة تحتاج إلى عطلة أخرى كي ننسى قروحنا النفسية .. ليس لبلده ولا أهله ذنب ، فقد جننا نحمل مضا تلك اللعنة من (كينيا) ، لكنى سأظل أذكر هذه الإجازة طويلاً جداً .. وليتنى كنت أجهل ما هنالك .. إن لفسرت ما يحدث بالمثل الزوجى أو الخيانة أو تفسير سطحى مريح آخر ، وكنت سأستمتع بلعب دور الشهيدة المضطهدة ..

لكنى أعرف أن السرطان النفسى ينخر فى روحه .. إنه لمشهد أليم كثيراً عما لو كان سرطان للقولون هو الذى يمزقه .. ولا أستطيع تجاهل هذا ..

يا لعينيك الذابتين ! يا للنظرة المتعبة الغارقة فى الندم فى عينيك ! لو كانت الفراسة كافية لإصدار الأحكام لأعموك فوراً فى ميدان عام بلا محاكمة ..

جاء قرب الفراش حيث أتربع ، وصمت كأنما يبحث عن شيء يقوله .. فنظرت له متسائلة ..
- « ثم ؟ »

رفع حاجبيه مندهشاً ، فقلت له :

- « تبدو بصدد اعتراف عظيم الخطر .. »

ابتلع ريقه وتحاشى نظراتى ثم قال بصوت مبحوح :

- « إنه اعتراف بسيط .. ولا أعرف إن كان يهمك أم لا .. »

ثم غطى وجهه بيده وأردف :

- « أعتقد أننى قتلت .. على الأقل ثلاثة أشخاص ! »

يا لك من لحمى ! يا لك من معنوه ! إنك تزدد خبالاً يوماً بعد يوم ..

لقد حكى لى كل شيء .. كان بيكى كطفل ، وكنت أريته
على شعره وأتخلل خصلاته الخشنة ، وأنا أردد بلا كلل :

« صبراً أيها الأحقى ! صبراً أيها الصاذج .. »

كان اعترافه لى مرعباً .. على أقل تقدير يمكن القول إن
هناك فتاة ميتة دفنت فى جدار تلك البناية المتهالكة ، لكن
هل هى (نسرين) حقاً ؟

قلت له فى غرظ من حماقته :

« لا يمكن أن تكون اعترفت هذا .. هل تعرف السبب ؟
لأننا أنقذناك من نفسك أيها الأحقى ! أنقذناك ووضعناك فى
فندق ، وحين أنقذناك كانت الفتاة حية ترزق .. »

بدا عليه الكثير من الحمق فعلاً .. فلم أكن مخطئة فى
وصفى له .. وكنت مرهقة عاجزة عن شرح كل شيء فأولتته
هذه المنكرات .. وقلت وأنا أخرجها من تحت حشية الفراش :

« اقرأ هذا .. فلست أنت الوحيد الذى يكتب مذكراته
خلسة ! »

وجلست أراقبه وهو يقرأ بصراحة جنونية .. لا بد أنه قرأ
هذه المذكرات فى خمس دقائق ..

بدا أنه فرغ من القراءة ، فنظر لى بعينين تتوسلان غطتهما
محبلة من الدموع الرجولية التى تلبي الانزلاق لأسفل ، وقال :

« إننا مدين لك بكل شيء .. لكن من يضمن لى
أنتى لم أغادر الفندق لأتم ما بدأته ؟ كان عندي يوم الثلاثاء
بالكامل .. »

« طلبتك فى الفندق أكثر من مرة وكان هناك من يرفع
الصماعة »

نظر فى ساعته وهتف :

« التاسعة ؟ ربما كان هناك وقت .. فلنصرع الآن ! »
لم أند ما يريد ، لكنه كان قد اتخذ قراره .. لا وقت
للتفسير ..

وضعت ثوباً ما على كتفى ، فأمسك بيدي وودع أمه
واتطلقا نثب فى الدرج .. حتى صحت فى رعب :

« (علاء) !! أنا لا أستطيع ملاحقتك ! لاتس أنتى ... »
ووجعت نفسى فى الشارع ، بينما سألنى وهو يهرع كالمجنون
إلى محطة القمرو :
« لك ماذا ؟ »

- « أننى أننى لم أشف بعد بالكامل .. مزال
من الممكن أن »

سألنى والمترى ينطلق بسرعه المجنونة :
- « أن ماذا ؟ »

- « أن يعاوننى للنزف لأن »
نهرع خارجين من المحطة ، وهو يسألنى :
- « لأن ماذا ؟ »

قلت وأنا أجذ لسير وراءه :
- « لاشئ .. اتس الموضوع ! »

(أعرف أن المصافاة أطول من هذا ، لكنى فقط أستخدم
نوعاً من المبالغة الأدبية ..)

رحنا نمشى بين شوارع الضاحية الهادئة ، حتى بلغ تلك
المساحة الخالية . دار عند أول منعطف على اليمين ،
وهناك كانت ورشتان .. إحداهما أغلقت والأخرى يقف
أمامها رجل يبدو من الحرفيين ، وكان منهمكاً فى غلق
المحل ، حين استوقفه (علاء) وسمعه يسأله :

- « أسطى (عبد الوهاب) ؟ »

هز الرجل رأسه فى شك ، فتبادل (علاء) معه محاوره
بالعربية لم أفهم منها حرفاً ..

فى النهاية شكره (علاء) وعاد لى وعلى وجهه ضحكة
منتصرة ، وقد بدا لى شخصاً آخر .. قال لى وهو يمسك
ببذى :

- « لحسن الحظ أنه لم يخلق للورشة بعد .. إن غذا هو
الأحد يلقون متاجرهم مبكراً .. هذا الرجل جاء إلى الشقة
يوم الثلاثاء ليصلح عطلاً كهربياً .. سألته إن كنت أنا من
طلبه فقال إنه لم يرنى قط .. الآخر نحيل بعوينات سميكة ..
ويدخن بقطاعة .. »

تبادلنا النظرات ، وهممت :

- « يصف لنا (مختار) صديقك !! »

لم يكن (علاء) هو الذى نخل الشقة وفتحها يوم الثلاثاء ..
كان فى الفندق بين فقدان الوعي والنوم وعدم الاتزان ..
فقط كان الهاتف يدق فيرفع السماعة بطريقة آلية ثم
لا يسمع أحداً فيعيدها لموضعها ..

(علاء) لم يقتل ولم يعذب أحداً .. وإن لنا من ذلك كثيراً ..

ولو حامت حوله الشكوك ، فإن موظفى الفندق - برغم كثرة أعمالهم - قد يقدمون له حجة الغياب Alibi .. فهو لم يغادر الفندق فقط ..

النقطة المثيرة للفرع هنا هي أن الشكوك تحوم حول (مختار) ..

لقد عاد إلى الشقة .. إذن هو اصطنع لنفسه مفتاحاً آخر .. هو من طلب الكهرباء .. هو من فتح النوافذ ليراها (أشرف) صديق (علاء) ..

لماذا ؟

بعد يوم قضاء فى الشقة ظهرت ثلاث بلورات وجلباب أزرق .. وظهرت جثة مدفونة فى بئر السلم .. ماذا يعنى هذا ؟ الجواب كما عرفته وعرفه (علاء) هو أن الظاهرة تركت (علاء) واختارت معالجه !

حين سرى التيار الكهربى فى مخ (علاء) ، قسرت الظاهرة أن تهاجم شخصاً آخر .. كما كان مرضى الطاعون يحسبون قديماً : أنك إن أصبت واحداً آخر بالعدوى تشف

أنت .. هذا ما حدث حرفياً هنا .. وإن لم يحدث بسرعة .. لقد ظل (علاء) يفكر فى الظاهرة بعض الوقت ، وحين أفاق من غيبوبته أراد أن يعود إلى الشقة ..

فى تلك الليلة أوصل (مختار) (علاء) إلى الفندق بينما ذلك الشيء ينمو فى داخله .. مشروعات كثيرة تدور فى ذهنه .. سوف يستولى على الأبحاث المكتوبة بالهولندية التى تركتها معه .. لقد صار يفهمها فجأة .. هناك فتاة معدة للتجربة فى الشقة ، وكل الأجهزة معدة متأهبة ، فلماذا يضيع هذه الفرصة ؟ هكذا تركنا وعاد إلى الشقة ليفتحها ويقبع فيها ..

ترى من الذى مر على الشقة يوم الثلاثاء فسقط فى يد (مختار) ؟ من هو Y ومن هو H ؟ أحدهما كان يلبس جلباباً أزرق . (علاء) يعتقد أن (حجازى) السمسار مر على الشقة فى هذا اليوم بالذات .. وإلا فمن أين جاء حرف H ؟ لم ينقذ الكهربائى إلا أن الكهرباء كانت مقطوعة ، ولعل (مختار) توقع أن يكون أخبر أحداً بوجهته ..

كنت أفكر فى هذه الخواطر و (علاء) يفتح باب الشقة الرهيبة ..

رائحة العطن والقدم تفوح من كل شيء ، لكنها الآن
صارت رائحة الموت ذقتها ..

رحلت أرمق كل التجهيزات التي تحدث عنها (علاء)
والبرد يغزو عروقي ..

لقد فعل كل هذا وحده وتحت التأثير القاتل لذلك المخبول
(كومانسكى) ..

قلت له :

- « هل تبلغ الشرطة بما توصلنا إليه ؟ لابد من
أن يعرف أهل المفقودين مصير نوابهم .. »

قال فى ضيق وهو يضئ نور الحمام :

- « بالتأكيد .. سيتضح السر يوماً ما ، وعندها يتذكر الجميع
الطبيب الملتحي الذى رغب فى إنشاء ورشة لتجميع أجهزة
الكمبيوتر ولم يفعل .. يجب أن أثبت براعتى هنا والآن ..
هنا والآن »

ثم صمت فجأة .. ووقف على باب الحمام ..

- « (علاء) .. هل من شيء ما ؟ »

قال فى وجوم :

- « لا تأتِ هنا .. ليس المنظر جميلاً .. »

ونظرت عند قدميه فعرفت أننا لم نر بركة الدم هذه لأن
الظلام كان دامساً ..

ارتجفت .. رائحة الدم جعلتني أوشك على القىء .. الآن
أشمها بعدما رأيت ..

- « من هو ؟ »

قال وهو يوارب قلبه :

- « (مختار) ! »

اتجه (علاء) إلى الشلاجة الأفقية التى يطلق عليها اسم
(المفاعل) ووقف يرمق ما بداخلها .. ما إن يفتحها حتى
تتصاعد أبخرة زرقاء مضيئة .. مشهد غريب حقاً ..

دنوت منه أكثر لأرى ، فوجدت أن الداخل مليء ببثورات
مهشمة .. حوالى عشر منها ..

- « ما معنى هذا ؟ »

قال وهو يمد يده يتفحص الزجاج المهشم :

- « هناك من هشم البلورات كلها .. إما أن يكون (مختار)

فعل هذا أو من جاء بعده .. »

- « وهل هناك من جاء بعده ؟ »

- « إن من قتل (مختار) ؟ »

ثم أغلق الباب واستند إليه وقال :

- « لقد تحررت الظاهرة .. خرجت من معتقلها .. ومن يدري ؟

لربما اكتسبت هي ذاتها خاصية مادية ما .. لربما هي التي قتلت
(مختار) .. لربما لم يمس الفتاة ولا باقى الضحايا .. »

ثم غمغم :

- « سألتى الكهربائى عن سبب الأضواء للزرقاء المنبعثة

من الشقة ليلاً .. اعتقد أن لدينا من يقوم بأعمال اللحام ،
وبدأ له هذا غريباً .. »

- « وهذا يعنى ؟ »

فى ضيق هز رأسه :

- « لا أعرف أى شيء على الإطلاق .. لا أعرف .. »

كان يتكلم وهو يتجه إلى قابض الكهرباء فالتزعه من

مكانه فكفت الثلاجة عن الهدير .. ثم بجنون راح يمزق
الأسلاك كلها ..

اتجه إلى الحمام ، وعاد حاملاً حاوية بها كيروسين ..
عرفته من الرائحة ..

- « (علاء) .. ماذا تحاول عمله ؟ »

- « هذا »

وأفرغ محتويات الحاوية على الثلاجة والأجهزة المعقدة
الموجودة هناك .. ثم أخرج علبة ثقاب وأشعل عوداً .. قال
لى وهو يمسكه بين أصابعه :

- « لتجهى إلى الباب وانزلى فى الدرج .. »

- « أنت مجنون .. ستحرق البناية كلها ! »

- « لىتنى أستطيع هذا ! »

وسقط العود الملتهب على الكيروسين فاندلعت الشرارة
منتشرة فوق السائل ، وسرعان ما لحق به (علاء) ورحنا
نهبط فى الدرج بينما ألسنة اللهب تتأجج ..

- « لكن هذا سيحضر رجال الإطفاء .. وسوف .. »

قال وهو يلهث لاحقاً به :

- « لا بد من تدمير هذا السر اللعين .. لن تجد الظاهرة
مكاتباً تقضى فيه ليلتها ! هذا يشبه ما يفعلونه حين يضعون

صليبا في تابوت مصاص الدماء الفارغ ، لمنعه من العودة
إليه عند الفجر .. »

هنا شعرت بالأرض ترتج تحت قدمي ..

- « (علاء) .. ما هذا ؟ »

- « لركضي ! »

وخرجنا إلى الشارع المظلم المظلم ، حتى إتنا خضنا حتى
الكاحلين في بركة الماء الأسن بالخارج ، وأجفل قط كان
يحاول الشرب حين رأنا ننقض عليه ..

ونظرنا إلى الوراء حيث كانت النهاية ..

إنها تنهال !

لم يحدث هذا على مراحل كما نرى في الصور .. لكنها
هبطت غائصة فجأة كأنما هي قصر من أوراق اللعب هدمه طفل
شقي .. ومع هبوطها تصاعدت سحابة كثيفة من الغبار
جعلتنا لا نرى أيدينا .. ومعها صوت ارتطام مدو رهيب كأنه
بركان ينفجر .. ضوء أزرق غريب أحاط بالطابق العلوي
في أثناء هبوطه ثم تلاشى .. وساد ظلام وصمت رهيبين ..
صمت دامس وظلام مطبق إن جاز لي قول هذا ..

قال (علاء) وهو يعتصر كتفي في توتر :

- « إنها الظاهرة .. كانت في الداخل ! لقد دمرتها النار
ولمعت هي النهاية في لحظتها الأخيرة »

إلى حد ما يمكن القول إن الكابوس قد انتهى ..

هذه النهاية بحالتها السابقة كانت مهددة فعلاً بالسقوط ،
ولن يتدهش أحد لما حدث لها ..

ربما يجدون بعض الجثث بين الأنقاض وإن كنت أشك
في هذا .. سيقولون إنهم أشخاص تواجدوا هنا لسبب ما ..

لا أعتقد أن الأمر انتهى بالنسبة لـ (علاء) ، وأعتقد أنه
سيبحث عن طريقة يخبر بها أقارب المفقودين بما أصاب
نوبيهم .. لا أعرف كيف ، لكنه سيفعل ..

أرى هذا في عيني ..

أعتقد أن الوقت قد حان كي نبدأ إجازة حقيقية ، وكى
يعود لنا المرح الذي افتقدناه .. صحيح أنها إجازة قصيرة
جداً الآن لكنها ستكون كافية .. إن هؤلاء القوم طيبون
ولكره أن يفهموني بشكل خاطئ .

ولكن السؤال الذى يوزقنى وسوف يوزق (علاء) كثيراً
هو : من قتل (مختار) ؟ هل شخص آخر حلت به الظاهرة
أم الظاهرة نفسها ؟

هل انتهت الظاهرة بموت (مختار) وانهيار البناية
واحترق المغاغل ؟ أم أننا فقط نريد أن نعتقد ذلك ؟

والسؤال الأهم : اين تلك الأوراق التى تشرح النظرية
بالتفصيل ؟ الأوراق المكتوبة بالبولندية .. نحن لم نجدها فى
أى مكان ، ولا أحسر على التساؤل :

فقط لنأمل ألا تقع فى يد تعرف كيف تستخدمها .. وعقل
شخص يكتشف أنه يجيد البولندية فجأة ..

سيكون هذا مريباً لو حدث ..

تمت بحمد الله

Hany3H

www.dvd4arab.com

www.dvd4arab.com

سافاري

مغامرات شبيب شاب جليل
تكريما لحياته وتكريما لبلاده

روايات
مصرية
الكتاب

الظاهرة

فلنفرض - مجرد الفرض - ان الظاهرة
حقيقة ، ولنفرض انها تحررت وانتقلت إلى
الدكتور (علاء عبد العظيم) .. لنفرض الآن انه
يحملها معه إلى مصر .. لنفرض انه سيحاربها
على من يحب ليظهر بنتائج غامضة .. فلنفرض
- مجرد الفرض - ان هذا حدث ، فماذا نتوقع ؟



د. احمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H



العدد القادم
H.I.V

الكتاب في مصر ٢٥٠
وما بعد ذلك
في مصر